

بابزوج
عبد الرحمن الشرقاوى

عبد الرحمن الشرقاوي

باندونج والسلام العالمي



صدر عن دار الفكر ـ الطبعة الأولى
دار الهنـا للطباعة والنشر ـ ت : ٥٠٧١٤

من دار الفكر ..

العادة التى اتبعت لتقديم الكتاب والكتب الجديدة ان يقال .. عبد الرحمن الشرقاوى الكاتب والشاعر وعضو مجلس السلام العالمى واحد اعمدة الثقافة فى مصر ليس فى حاجة الى تعريف .. والواقع ان كل كاتب او مفكر وكل رجل يتحمل مسئولية ، فى حاجة الى تعريف دائما .. فى حاجة الى ان نذكر مواقفه فى الماضى ونربطها بمواقفه فى الحاضر لنقدم للجماهير الحساب عن اعماله ..

منذ اعوام ــ اوائل سنة ١٩٥٣ بالتحديد كتبت نيابة عن ((دار الفن الحديث)) مقدمة لقصيدة ((من اب مصرى للرئيس ترومان)) للشاعر عبد الرحمن الشرقاوى .

واليوم اوائل سنة ١٩٥٦ ــ امسك القلم لاكتب نيابة عن ((دار الفكر)) كلمة اقدم بها كتاب عبد الرحمن الشرقاوى الجديد .. ((باندونج والسلام العالمى)) ..

١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥ ، ثلاثة أعوام طوال امتلات بالاحداث هنا فى مصر وفى العالم استهلها عبد الرحمن بقصـــيدة ترجمت بعد ظهورها الى الفرنسية وساهمت فى انبل معركة تخوضها البشرية اليوم .. حماية الشيء الوحيد الذى بدونه ستهدم الحضارة وتتوقف انفاس الحياة .. حماية الأمل الذى تلتقى اليوم سواعد مئات الملايين من البشر للذود عنه .، حماية السلام الذى يحمل فى طياته الحرية والحب والرخاء والثقافة والعمل وكل شيء جميل فى الحياة .

ان نضال الشعب المصرى ضد اتفاقية الدفاع المشترك التى حاول ان يعقدها الخائن صدقى سنة ١٩٤٨ ، ساهم الى حد كبير فى تعطيل نشوب حرب عالميــة جديدة . ورفض الشعب المصرى للحلف العســكرى الذى حاولت بريطانيا وامريكا وفرنسا ومن ورائها تركيا فرضه علينا ، كان ضربة اخرى للمعسكر الاستعمارى ولدعاة الحرب . ووقوف مصر اليــوم ضد الاحلاف العسكرية يساهم مساهمة فعالة فى تعطيل قيام الحرب او بداية المجزرة الذرية .. اننا نذكر بفخر دور الشعب المصرى فى حماية سلام وطننا وسلام العالم ونذكر بفخر ايضا دور رجال الثقافة فى مصر وعلى راسهم عبد الرحمن الشرقاوى ..

ان قصيدة ((من أب مصرى للرئيس ترومان)) كانت بمثابة مدفــع دائم الطلقات يقف الى جانب الشعوب المناضلة من اجل الحرية والسلام . انها كانت هناك مع المناضلين فى كوريا ، وكانت هناك مع جنود هوتشى منه البواسل فى الهند الصينية ، وكانت هناك مع الشعب السودانى والشعوب العربية فى نضالها الدائم من اجل انتزاع مصيرها ، وكانت هنا فى مصر مع ضمير شعبنا تساهم فى دفعه ليلعب دوره التاريخى الحالى الذى ادى الى الاشتراك فى مؤتمر باندونج والى النجاحات التى وصل اليها هذا المؤتمر .

١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ وعبـد الرحمن الشرقاوى لايتوقف عن الكتابة وعن الدفاع عن كرامة القلم وشرف الثقـافة وحرية الانسان وسلام العالم ـ ١٩٥٥ وعبد الرحمن الشرقاوى مثل رجال الثقافة الشرفاء فى جميع بلدان العالم ـ مثل اراجون ونيرودا واهرنبرج وفادييف واامادو وناظم حكمت وهوارد فاست وانطوان ثابت ـ مثل كل هؤلاء ومئات غيرهم ، يرفع صوته وينادى بضميره الواعى وبادراك يستمده من نضاله ومواقفه ومن تاريخنا وتراثنا وآمال البشرية كلها ـ حيوا باندونج ـ ـ باندونج ليست أكذوبة ـ باندونج من صـنعنا ومن ارادة الشعوب ـ باندونج من معاركنا وعرقنا ودمائنا والقصـائد التى انشدناها .

١٩٥٦ وعبد الرحمن الشرقاوى يدفع الى المعركة بمدفع جديد دائم الطلقات او بكتاب جديد هو ثمرة مواقفه ونضاله والكلمات الشريفة التى تحمل مسئولية كتابتها .

لقد امسكت القلم لاحيى فى عبد الرحمن الشرقاوى شخصية شعبنا المناضل الذى لم يتخل يوما منذ بدات الحضارة على ضفاف نيلنا عن مسئولياته .. والذى يقف اليوم ببطولة مع شعوب العـالم الاخرى لحماية الانتصـارات التى تحققت فى باندونج ولجعل السلام واملنا فى استمرار الحياة وازدهـارها حقيقة .

ابراهيم عبد الحليم

رسم الغلاف : ابو العينين
الرســوم الداخلية : زهدى

اهداء

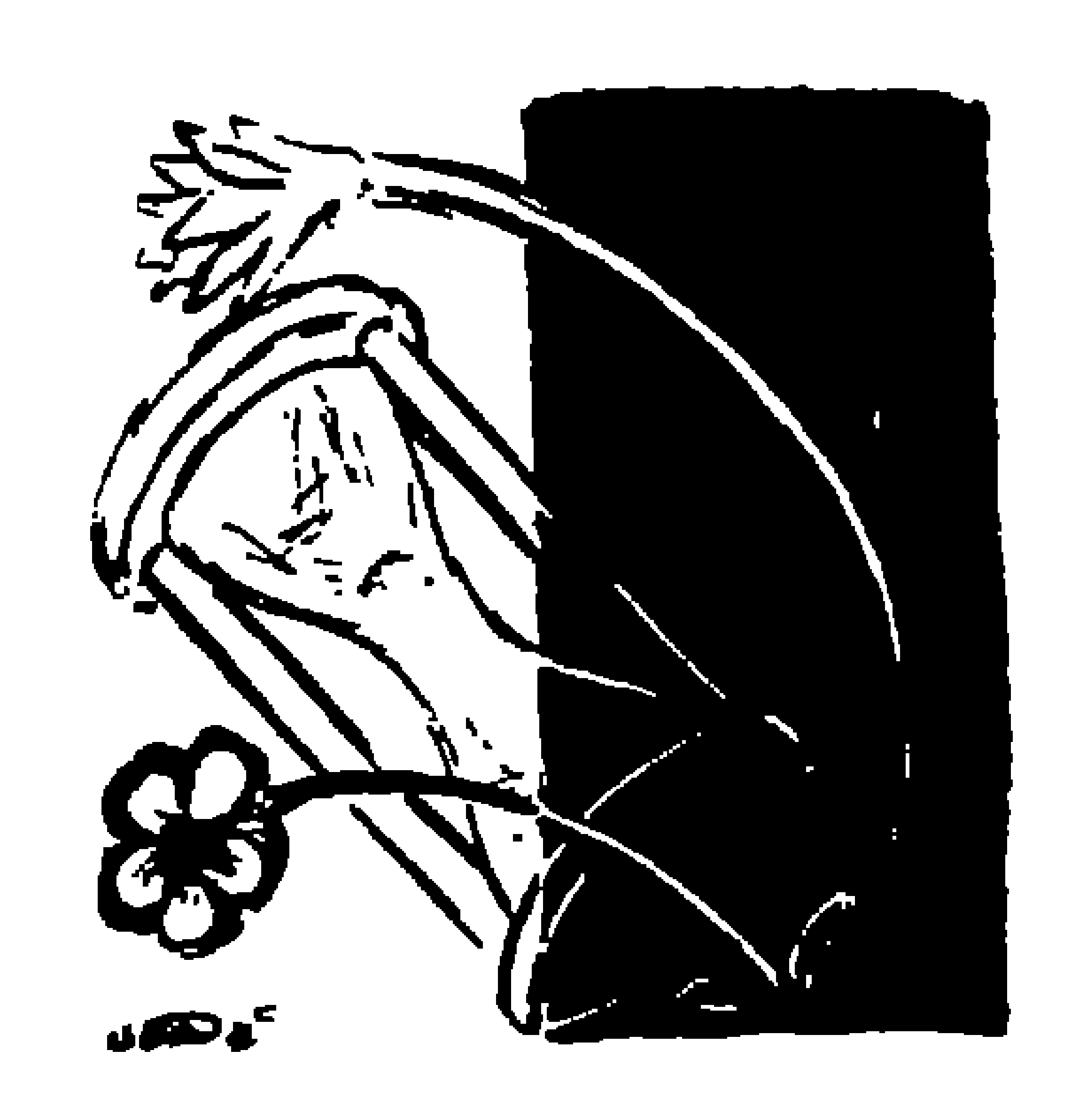
الى الذين لم يدركوا بعد ان الدفاع عن السلام العالمى ، ضرورة تنبثق من تطورنا ومن ضمير العصر ، ومسئولية يفرضها شرفهم الانسانى ..

... اهدى هذه الكلمات تعبيرا عن امل كل بسطاء الناس .. فى سلام دائم .

عبد الرحمن الشرقاوى



انعقــد مؤتمر باندونج بتــاريخ ١٨ ابريــل ١٩٥٥
واصــدر قراراته التاريخيــة بتاريخ ٢٤ ابريل ١٩٥٥



الفصل الأول

آســـيا ، وافريقيا .. عالم بأسره ما يكاد يذكره المتحضرون فى أوربا وامريكا حتى يخفــق القلب فجــأة ، وتفيض النفس بذكريات الحضــارة القديمة فى مصر والهند والصين !. وأنا أعنى المتحضرون فى أوربا وأمريكا.. لا تجار الرقيق ، أو الذين يبحثون عن لحم لنار المدافع !

أنا أعنى الانســـان المتحضر الذى يبكى لمأســاة جان دارك ، ومارا ، وروبسبير ، وتثير كبرياءه بسالة فيــون « وفولتير ؟ » وهيجو ، لا الذى يختفى تحت راية مثلثة الالوان ليذبح النساء والاطفال فى شمال أفريقيا ..

أنا اعنى الانســان المتحضر الذى يضىء فى نفســه لهب « شكسبير ، ودكنز ، وميلتن » .. لا الذى يطعن ظهور الناس فى كينيا والملايو وقبرص والأردن .

أنا أعنى الانســان المتحضر الذى يغمر قلبــه جلال من ذكريات لينكولن وواشنطن وفرانكلين ومونرو ولنجفلو ومارك توين .. لا الذى يجعــل من لينكولن ماركة عربة تلمع فى الطريق بأكثر مما يلمع لينكولن ، ويحول فرانكلين الى مشروع لسحق الثقـــافات الوطنية ، ويقلب مونرو الى مودة فى هز الأفخاذ ، ويحرق آثار مارك توين !

انا أعنى الانســـان الذى ينبض فيه مع الدم خشــوع لقداسة موزار وجيته ورومان رولان وهايني وشيلى وبتهوفن وميكل أنجلو .. الانسان الذى يرعشه وهج من جسارة بيرون .. حين كانت اليونان ما تزال أرض الآلهة والتراث والحرية والبطولات .. وقبل أن تكون قاعدة حلف البلقان!.

* * *

هـذا الانسان المتحضر فى اوربا وامريكا انما يشمئز اليوم من بعض مواطنيه الذين مابرحوا يرون فى آسيا وافريقيا مزارع تنتج الطعام والذهب والعبيد .! انه يتقزز من ذكر رجال الدين الذين استخرجوا من الكتاب المقدس نصوصا تثبت أن السود والصفر هم أولاد « حام » : الابن العاق لنوح عليه السلام ! وانه من اجل ذلك كان على أولاد سام أن يثأروا لجدهم الاكبر نوح من عقوق حام .. وهكذا كتب على أولاد حام أن يستعبدوا فى الارض !..

الرجل المتحضر فى اوربا وامريكا بلاد سام — يتقزز من ذكريات رجال الدين ، هؤلاء الذين دفعوا الملكة اليزابيث فى عصر شكسبير الى أن تحمى القراصنة ، وتقيم اسواقا عالمية لتجارة الرقيق بعد ثورة اخناتون وبعد عصر فرجيل بعدة قرون .

الم يكن رجال الدين هؤلاء هم حفدة الذين افتوا بحرق ، جان دارك .؟!

ولئن كان بعض ابناء « سام » فى عصرنا هذا يحاولون احياء الفتوى الدينية القديمة ، فان المتحضرين من مواطنيهم ليشمئزون من هذا كله .. ذلك أن الانسان المتحضر يدرك أنه الابن الطبيعى للحضارة الاغريقية وللحضارات الاولى التى انبثقت على الأنهار الكبرى فى مصر والهند والصين مع اول شعاع من فجر التاريخ .

والانسان المتحضر فى أوربا وأمريكا يدرك انه مدين لهذه الحضارات الاولى التى خلقت فى العلوم والفنون والحكمة كل التراث الضخم الذىأعطى لسلالات من البشر اول مفاتيح الغيب ، واضاء العقول جيلا بعد جيل ليفهم الناس كثيرا من أسرار المجهول ، وليعرفوا دوران الشمس واختلاف الليل والنهار ، وليعلموا عدد السنين والكتاب !..

وتاريخ العلم — كتاريخ الفلسفة والفن — لا يموت ..

فالذى اكتشف النار مهد الطريق منذ آلاف من الاجيال للذين فتتوا الذرة .. ولم يكن من الممكن أن تجرى السفن فى البحر كالأعلام الا عبر تجارب طويلة بدأت بمغامرة — وربما باستشهاد — فلاح مصرى أو صينى أو هندى فى عباب أحد الأنهار الكبرى على لوح من خشب .. والفن — اجل ما فى حضارتنا المعاصرة — هو بدوره ثمرة جهود فنانين سجلوا — بصدق رائع — صراع شهداء لم نعرفهم مع كل عناصر الطبيعة والخفاء .

الانسان المتحضر الذى يفخر بانه انسان ، يعرف كل هذا ..

وحين أقول الانسانالمتحضر فانما افكر فى أى رجل أو امراة من بسطاء الناس الذين يحبون عصرنا ويؤمنون بالحضارة ويعيشون سعداء بها ، ويريدون أن يمارسوا كل ما تقدمه لهم .. هؤلاء جميعا يحترمون آسيا وأفريقيا .. مهد الحضارات !

اما الذين يدافعون عن حقوق الانسان المضطهد المعذب المستغل .. اما الذين يدافعون عن الخبز والزهر والاطفال والحب والعمل وشرف النبضات .. اما الذين يؤمنون بالانسان الاسود والاصفر والابيض على السواء .. فهم يدركون أن تحريرهم هم انفسهم من القلق والضيق والهوان والفزع والبطالة ، انما هو فى تحرير شعوب آسيا وأفريقيا من الجوع والعبودية والمرض والظلمات .

هؤلاء لا يؤمنون بآسيا وافريقيا كمهد للحضارات القديمة فحسب ، وانما يؤمنون أيضا بحق الشعوب فى تقرير مصيرها .. بحق الانسان فى ان يضع يده على مستقبله ويؤمنون بعالم أفضل تصنعه طاقات ملايين من البشر عندما تتعاون فى ظروف متكافئة من العمل والجزاء ..

وهؤلاء الاصدقاء حين يوجهون الضربات الى مستغليهم ، فى بلادهم ، فانما هم فى الحق يقدمون الى شعوبنا الآسيوية والافريقية عارفة لا تنسى .. ذلك أن مستغليهم هناك .. هم الذين يقومون فى بلادنا بدور الجلادين !!

* * *

والحضارات القديمة التى ازدهرت فى آسيا وأفريقيا لم تنتعش منفصلة عن بعضها على قلة الزاد وبعد السفر .

بل أثرت فى بعضها وتأثرت ببعضها .. والسفن والقوافل التى كانت تعبر المجاهل الشاسعة بين الصين والهند ومصر ، كانت تحمل مع البضائع الوانا من المعرفة والخبرة والثقافة .. ويروى الطبرى والمسعودى أخبارا عن نشاط التجارة بين الصين وشواطىء اليمن والعراق .. قبل أن تكون العراق مرتعا « لعدالة » نورى السعيد ، وقبل أن تصبح « الحبانية » قاعدة عسكرية أجنبية !

وتذكر الأخبار ان البصرة كانت أكبر سوق دولية للتجارة والفنون والآداب .. وكانت تسيل الحكمة فيها من قبل أن تسيل أنابيب البترول مترعة بدم الشعب العراقى .. !

وكان اجدادنا يسمون الملك الصينى بملك الرعاية والسياسة واتقان الصنعة وكانوا يسمون الملك الهندى بملك الحكمة وملك الفيلة .

وعلى كثرة ما مر بمصر والهند والصين والدول العربية من أحداث ، فلم تنقطع الصلة ابدا بين هذه البلاد .. وقامت مصر والدول العربية بدورها التاريخى فى تلقيح الحضارات ... ولتجار الشام والسواحل المصرية دور معروف بين الشرق واليونان .. والطب البشرى ، والمغامرة فى الفردوس وأحلام العدالة نقلها الى أوربا عرب من بغداد أو اشبيلية .. ولم تكن ابواب بيزنطه بأضيق من ابواب روما .. !

على ان الحلف التركى العراقى ، لم يعقد تمجيدا لذكرى ثقافة بيزنطه ، أو بغداد .. القديمة !!

* * *

وعندما زحف برابرة الحضارة الحديثة على آسيا وافريقيا يثخنون فى الارض ويسرقون الناس بغير حساب ، زعموا أنهم يريدون أن يعمروا الارض الخراب ، وانهم يريدون أن يضيئوها بنور العقل الأوربى ..

وعلى الرغم من أن ادبهم حاول أن يذيع على آسيا وافريقيا أن الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا .. على الرغم من هذا كله ، فقد جاء زمن عقدت فيه مواثيق تنظيم الاستعمار بين اليابان فى أقصى الشرق وبين محور ايطاليا ، والمانيا الهتلرية فى أقصى الغرب !

وحارب الغرب بعضه ، وذبح الرجل الأبيض أخاه أكثر من مرة من أجل النزاع على الممتلكات والأسواق فى آسيا وافريقيا .. لا للخلاف القديم بين « العم سام » و« العم حام » .. هذه المرة !

وبقدر ما ساعد التقاء الحضارات القديمة انسان العصور الاولى فى سعيه ضد القدر والمصير ، فقد اشعلت المأساة الحديثة المشتركة جذوة كفاح وطنى مشترك لا يهدأ .. ورفعت راية الانسان الملون .. ضد اله العصر الجديد : الاستعمار !!

وهكذا اشتعلت الثورات الوطنية من أواخر القرن الماضى .. وظلت الثورات الوطنية مشتعلة جيلا بعد جيل .. وسقط شهداء من مصر والهند والصين سنة ١٩١٩ و سنة ١٩٢١ .. فى وقت واحد ... وسقط شهداء ٢١ فبراير ١٩٤٦ فى مصر والهند على السواء .. وسالت طوال هذا القرن دماء هنا وهناك من السود والصفر .. والبيض أيضا !

ولم يعد اللون الحاسم هو لون الجلد البشرى بالضبط .. وانما لون العملة المالية أساسا ..!

ومهما تختلف الوان الضحايا فالدماء كلها حمراء .. الدماء كلها حمراء .. حمراء بلون الشفق .. لا .. حمراء كاللهب !.. كالفجر !

وكان فجرا جديدا حقا ..

فجر يشرق بارادة الشعوب .

واعلن استقلال سوريا ولبنان .. واعلن استقلال الهند ، واعلن استقلال أندونيسيا واعترفت به جامعة الدول العربية سنة ١٩٤٦ .

وسارت مصر خطوات فى طريق السيادة .

وتوالى الزحف المظفر لقوات التحرير فى الصين والفيتنام والملايو ، وبورما ..

قديماً كان الانسان فى آسيا وافريقيا يعرف ان الوجود صراع بين قوتين : الانسان والطبيعة .. ولكن الرجل الأبيض حمل له قيما جديدة.. فجعل الطبيعة نفسها ميدان الصراع بين صاحب الوطن وبين غريب نازح من بلاد بعيدة .. بين المواطنين الأصليين ، وبين الرجل الأبيض !!

وكلما نجح اصحاب الوطن فى تطهير الوطن من ثقل الاحذية الاجنبية الغليظة .. عاد اصحاب الأحذية الأجنبية يبحثون عن شكل جديدللاحتفاظ بالسيطرة والممتلكات ومنابع مواد الخام ومصادر العرق الانسانى الرخيص الثمن !

والرجل الأبيض ... ليس هو الانسان المتحضر فى أوربا وامريكا ، ولكنه بقية من القرصان القديم الذى اقتحم آسيا وافريقيا يسرق الأطفال والنساء والكنوز فىعصور غابرة تحت راية تخفق فيها جمجمة وعظام بشرية .

ويوما بعد يوم ، اختفت الجماجم من رايات القراصنة ليحل مكانها شعار « الرجل الابيض » ..

ولم يعد القرصان يخطف ثم يضرب فى البحر .. ولكنه أقام يضرب فى جوف الأرض ، وانتقلت العظام والجماجم من رايته لتصبح حقائق حية فى واقع المعذبين ..

والقراصنة المعاصرون ما زالوا يتمسكون بشعار الرجل الأبيض الى اليوم .. حتى وهم يحاربون آخرين لهم نفس لون الجلد .. الأبيض !.. وكل ما فى الامر أن قراصنة الزمن الحديث اغنوا قاموس الألوان : فابتدعوا حكاية الرجل الاحمر ..

والأحمر هو ــ كالاصفر ، والأسود ــ ليس بالابيض على اية حال !.

ومن أجل هذا ، فيجب ان تحشدالآلات المدمرة لتحصد الرجل الأحمر ــ كالأسود والأصفر ــ قبل ان يسمم منابع الثروة فى طريق القراصنة .

وهكذا لم يكد السود والصفر والملونون فى آسيا وافريقيا يحرزون انتصاراتهم الوطنية ضد جشع القراصنة المعاصرين ، حتى اندفعت أجهزة الدعاية الواسعة التى يملكونها تتحدث عن خطر أحمر .. وتطالب الدول المتحررة بأن تتفق معها ــ على الجنون ــ فتسلم لها أرضها لتقيم القواعد العسكرية ، وتدخل معها فى مواثيق حربية .. للحماية من الخطر الأحمر!.

وهذا هو احدث شكل ابتدعه القراصنة المعاصرون !

الجمجمة والعظام البشرية لم تعد تصلح للراية الخفاقة .. وكذلك لم يعد الاحتلال العسكرى والحكم الأجنبىالمباشر بالشكل الصالح للاستعمار : فى عصر انشتين واهرنبرج وهوارد فاست وشابلن وأراجون .. وجوليو كورى !

* * *

وهكذا بدات تغزو الاسواق — مع تسليات المختار وصدر جان راسل والبان الامريكانى — فكرة الدفاع المشترك ، والمواثيق العسكرية ، ونظريات سد الفراغ ، والضرورة الاستراتيجية ، وحلف الشرق الأوسط ، وحلف البحر الأبيض ..

وعلى الرغم من المؤامرات الواسعة التى نصبت فخاخها فى الشرق العربى وفى الشرق الاقصى ، فقد فشلت الخديعة التى تبخترت وسط فضائلنا فجأة كغانيات روما القديمة !.

لم تستطع الخديعة المثقلة بالمتاع والجواهر والنعومة والفتنة . . أن تجذب احدا الى فراش التبذل والعار . . !

واستلهمت شعوبنا صدق احساسها الوطنى ، وتقاليدها الحرة النبيلة ، ووضعت يدها على الطريق الواسع الى المستقبل .. ونبذت كل هذه المشروعات واحدا بعد واحد .. وهكذا سقط مشروع صدقى — بيفن فى مصر ومشروع جبر — بيفن فى العراق .. ثم مشروع سد الفراغ ثم مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط ..

وعلى الرغم من المأساة التى سيظل يخجل منها ضمير حضارتنا . . على الرغم من أن دولة عربية شطبت بأسرها من خريطة العالم ، وشرد شعب كامل فى الصحراء .. على الرغم من كل ما حدث فى فلسطين وعلى الرغم من محاولة الصاق دولة جديدة على الخريطة بدل فلسطين .. على الرغم من هذا كله فقد ظلت القاعدة العسكرية الجديدة التى تحمل اسم اسرائيل ، مجرد حربة سامة مشرعة فى وجه ضمير العصر ، تعذب الذين شهروها ، أضعاف ما ترهب الذين سددت الى ظهورهم !

لم تفلح الخديعة فى أن تفرض هذه القاعدة العسكرية على شعوبنا .. ولم تفلح فى أن تحشد اللاجئين فى جيش ينتحر تحت راية أحد الأحلاف الأجنبية !.. ولم تفلح الخديعة فى أن تغزو سوقا واحدا بمنتجات اسرائيل .. ولم تفلح فى حمل اى من الدول العربية المناضلة على الاذعان ..

ولم تفلح حتى فى اثارة العصبية العنصرية ضد اليهود لتختفى هى وراء هذه العصبية .. فكل رجل وامراة فى البلاد العربية يعرف ان الصهيونية شىء واليهود شىء آخر .. وأن الاستعمار هو الذى صنع مأساة فلسطين ، وأن الاستعمار هو الذى يغذى عدوان اسرائيل على حدود البلاد العربية ، وأن الاستعمار هو الذى لا يريد تسوية المشكلة على أساس اعادة اللاجئين وردهم الى ديارهم وتعويضهم عما فقدوا .. وأن الاستعمار لا يريد تسوية سلمية للمشكلة على أساس قرار الأمم المتحدة ، وانما يشعل النار ، لينفرد هو بتسوية المشكلة لحسابه !

ولئن كانت الخديعة قد استعانت ببعض الدوائر الحاكمة فى بلاد آسيوية

وافريقية ، وعقدت معها بالفعل احلافا عسكرية .. فهذا كله لا غناء فيه .. لأن العبرة بالشعوب التى تملك الارادة ، وتملك الحركة .. والتى تقرر مصيرها فى نهاية الأمر !

وابطال حلف جنوب شرق آسيا لا يزعمون أنهم يملكون البخور الذى يخدرون به شعوبهم ويسوقونها الى الهوان والمجزرة مغمضة العينين .. والسيد نورى السعيد لا يزعم لنفسه ـ فيما أعتقد ـ أنه ورث سحر بابل ، وانه يستطيع ان يحول ارض بن سينا الى مسوخ من النحاس .. تتبع اشارته كما تقول الحكاية المشهورة فى الف ليلة !

لا .. انه لا يستطيع .. بكل سحره البابلى !!

والذين أشرفوا على هذه الأحلاف يدركون مقاومة شعوبنا ، منذ ١٩٤٦ .. ويذكرون معارك بغداد ١٩٤٨ ضد صالح جبر ونورى السعيد .. ودور الوسيط الذى تقوم به الدوائر الحاكمة فى تركيا بين الاستعمار وشعوبنا لعقد صلح يفرضونه بين اسرائيل والدول العربية !..

ان دور الوسيط هذا الذى تقوم به الدوائر الحاكمة فى تركيا هو دور تعرفه شعوبنا وتحتقره وتلعنه .. وهو دور قديم .. قدم المهنة فى التاريخ وقدم الجوارى التركيات فى المهنة !!

والذين يوسطون تركيا ويرشحونها بجدارة للقيام بهذا الدور ، يذكرون ماحدث سنة ١٩٥١ عندما تقدم سفراء أمريكا وانجلترا وفرنسا ـ وفى يدهم سفير تركيا ـ بمذكرة مشتركة الى مصر والى كل الدول العربية ، مطالبين بانشاء قيادة للشرق الأوسط يشتركون هم فيها .! الذين يوسطون تركيا لم ينسوا رد شعوبنا !

لم ينسوا أن حكوماتنا رفضت بحث هذه المذكرة ، ولعلهم يذكرون أن معاهدة سنة ١٩٣٦ ألغيت ردا على دخول تركيا فى حلف الأطلنطى وردا على مظاهرة زعماء الحلف ومعهم تركيا فى الضغط على مصر سنة ١٩٥١ .

ولعلهم لم ينسوا أيضا صدى البيان الثلاثى الذى صدر سنة ١٩٥١ من فرنسا وانجلترا وأمريكا لكفالة تثبيت الأوضاع فى الشرق الأوسط وهى الأوضاع التى كانت تعتمد على فاروق وجلوب ـ الجنرال المرحوم ـ وعلى تشريد أهل فلسطين وعلى الاستفزازات الصهيونية المتوالية والعدوان المتكرر على الحدود .

* * *

ولم تكن شعوبنا العربية تقف وحدها ضد المناورات وأساليب الضغط ولم تواجه شعوب آسيا وافريقيا الفظائع الوحشية .. منعزلة عن الرأى العام العالمى ..

بل وجدت شعوبنا الآسيوية والافريقية اكبر عون لها فى قرارات مجلس السلام العالمى .. الذى يعكس رغبة بسطاء الناس فى التعايش السلمى بين مختلف النظم ، ومجلس السلام هذا الذى يمثل قوة الرأى العام العالمى على اختلاف المذاهب والميول والآراء بقدر ما تمثل الأمم المتحدة قوة الحكومات المشتركة .. كان معنا دائما ..

ففى سنة ١٩٥١ اصدر قرارات حيا فيها كفاح الشعب المصرى وشعوب شمال افريقيا واعتبر العدوان الأجنبى على أرض مصر تهديدا للسلام العالمى وطالب بانسحاب القوات الأجنبية على الفور عن أرض مصر وندد بمحاولة فرض حلف عسكرى على مصر ..

على ان محاولات فرض الاحلاف على بلادنا الآسيوية والافريقية لم تهدا ابدا بعد سنة ١٩٥١ وفى ٧ اغسطس سنة ٥٢ تقدمت انجلترا بمشروع جديد اسمته تعاون القوات العسكرية فى الشرق الأوسط .. أى تجميع جيوش المنطقة تحت قيادة انجليزية ..

وفشل المشروع !

وفى صيف سنة ١٩٥٣ تقدمت الولايات المتحدة الامريكية بمشروع قيادة موحدة .. وطار مستر دالاس ليقنع الحكومات العربية وحكومات الشرق الأوسط بهذا المشروع .

وفشل ايضا !

واخيرا اهتدت الدوائر الحاكمة فى أمريكا وانجلترا الى ابتداع مشروع جديد ..

وكالعادة غمزت للدوائر الحاكمة فى تركيا لتقوم بدورها المعروف ... دور الوسيط ..!

وكان المشروع الجديد هو محالفات ثنائية ..

وشهدت شعوبنا اذ ذاك حلف تركيا ــ الباكستان ، ثم اتفاق العراق أمريكا الذى تسلم بموجبه فاضل الجمالى اسلحة من امريكا واعطاها أرض الوطن وحق الاشراف على جيش البلاد ، وفتح عاصمة الرشيد ومهد الشيعة للشقراوات الفاتنات ! .

وشجع هذا النجاح دوائر صناع السلاح فى الدول الغربية ، وابتدعت هذه الدوائر مشروع حلف بين الدول العربية مجتمعة وبين تركيا .

ولكن مصر رفضت هذا المشروع سنة ١٩٥٤ وأيدتها المملكة العربية السعودية وسوريا .. ولم تكد تعقد بين مصر وانجلترا اتفاقية الجلاء حتى عادت الدوائر الحاكمة فى أمريكا تحلم بأن تضم العرب الى تركيا فى حلف واحد .

غير ان مصر رفضت كما رفضت كل المشروعات الاستعمارية من قبل

واذ ذاك اتجهت الدوائر الغربية صانعة الاحلاف العسكرية الى العراق وفى يوم شاحب كيوم أن صرع الحسين ، عقد حلف تركيا ـ العراق .. وكانت محاولة شاذة ، مفاجئة لتمزيق الجامعة العربية التى اتفقت دولها على الا تدخل فى حلف عسكرى اجنبى .

كانت مفاجأة شاذة ـ سبقتها اجراءات شاذة : فسحبت الجنسيـة من كل الوطنين الشرفاء ونفى أعداء المحالفات العسكرية من ارض الوطن وامتلأت بهم اقبية السجون التى عذب فيها أحرار الفكر العربى منـذ قرون .

اكان نورى السعيد وفاضل جمالى وصحابهم ، بشذوذهم هذا يدافعون ايضا عن حضارة بغداد ! !

ربما كانوا يحيون تقاليد هولاكو وتيمورلنك أو لعلهم استطاعوا ان يزعموا للناس هذه المرة أنهم ورثة قصور بغـداد .. وتقاليد الشذوذ ببغـداد فى العصر النواسى .

ولكن الشعب العراقى الباسل ـ دائما عبر تاريخـه ـ استطاع ان يفرض ارادة العدل وينشر آية النور فى وجه طغاة سلفوا كانوا أعظم منهم بطشا وأشد فسادا وشذوذا .. ومع ذلك فما كانوا معجزين ! .

على أن حلف بغداد كان نذيرا لكل الشعوب الآسيوية والافريقية .. فمن بعد هذا الحلف ، وخلال الظروف التى عاصرته ، الحت الحاجة الى تنسيق جهود الدول الآسيوية الافريقية وتنسيق كفاحها المشترك دفاعـا عن سيادتها ولاستكمال استقلالها ، وابعاد شبح الحرب عن أرضها ، ومقاومة الأحلاف التى تفرض عليها رغم ارادة شعوبها ..

ألحت الحاجـة الى توفير الظروف التى تعين شعوب آسيـا وافريقيا على حياة منتجة تمارس فيها طاقتها وتستثمر مواردها الطبيعية وتوسع التبادل التجارى والثقافى فيما بينها وبين دول العالم كافة من أجل رفـع مستوى المعيشة وحماية الثقافة الوطنية واثراء الفنون والعلوم والآداب .

غير أن كثيرا من حكومات هذه المنطقة كانت تخضع للضغط أوتستعمل فى المناورة ..

وفى يناير سنة ١٩٥٤ نهضت حكومة مصر بدور حيـادى مجيد فى مجلس الجامعة العربية وخطت مصر من خلال الجامعة خطوة جريئة فى سبيل عقد مؤتمر آسيوى افريقى لتبادل وجهات النظـر والاتفاق على وسيلة لرفع مستوى المعيشة وحماية السلام العالمى ، واستكمال السيادة الوطنية والدفاع عنها ..

وفى جلسة ٢١ يناير سنة ١٩٥٤ اصدر مجلس الجامعة العربية قراراً ينص على اهمية عقد مؤتمر اسيوى أفريقى .

وكان قرار جامعة الدول العربية فى يناير سنة ١٩٥٤ تتويجا لقرار مؤتمر بيروت الذى انعقد بين ١٧ و ١٩ ديسمبر سنة ١٩٥٣ باسم مؤتمر الدفاع عن حقوق الشرق الأدنى والأوسط واشتركت فيه وفود عن الأردن وايران وحضرموت وسوريا والعراق والمملكة العربية السعودية ولبنان ومصر مؤيدة من شعوب شمال افريقيا وشعوب الخليج الفارسى . واجمع المؤتمر على قرارات تتعلق باحترام السيادة الوطنية واستكمال الاستقلال السياسى والاقتصادى والثقافى وتأييد كفاح الشعوب الاسيوية والافريقية.

على أن الدعوة الى عقد مؤتمر الشعوب الاسيوية والافريقية انما تبلورت خلال المعركة ضد حلف تركيا ـ العراق وخلال المعركة التى تخوضها شعوب جنوب شرق آسيا ضد حلف مانيلا ، وتخوضها شعوب افريقيا السوداء ضد مشروع الحزام الافريقى وخلال معارك اشقائنا المناضلين فى تونس والجزائر ومراكش وضد وحشية الاستعمار هناك . .

ولم تكد تنفجر فكرة المؤتمر حتى تبنتها مصر ، ودعت الى اجتماع عام حضره مندوبو الدول العربية ، ووافق مجلس الجامعة على توصية اللجنة السياسية التى صدرت بعد بحث مشروع عقد المؤتمر الآسيوى الافريقى : قرر الاشتراك فى هذا المؤتمر بوفود قوية تضم عناصر سياسية واقتصادية وثقافية والعمل على بحث القضايا العربية وبصفة خاصة قضية فلسطين مع غيرها من القضايا العالمية مثل مكافحة الاستعمار ومقاومة التمييز العنصرى وتنظيم التسلح والطاقة الذرية .

وقررت الجامعة ايفاد مندوب عنها للاشتراك فى المؤتمر .

أما الدعوة الرسمية الى المؤتمر الآسيوى الأفريقى فقد نبعت أول الامر فى مؤتمر كولمبو الذى عقد فى ٢٨ ابريل الى ٢ مايو سنة ١٩٥٤ بدعوة من رئيس وزراء سيلان . اذ اجتمع برؤساء حكومات بورما والهند واندونيسيا وباكستان .

وفى نفس الوقت عقد مؤتمر جنيف لحل مشكلة الهند الصينية مسجلا انتصار المطالب الرئيسية للمدافعين عن السلام : وهو وقف اطلاق النار فوراً ، وحل المشاكل بالتفاوض واجتماع الخمس الكبار .

اما مؤتمر كولمبو فكان هدفه تنسيق تعاون دول جنوب شرق آسيا

واعلن مؤتمر كولمبو انه يجب على فرنسا أن تعلن تأييدها لاستقلال الهند الصينية : واعلن الرؤساء الخمسة فى كولمبو استنكارهم للاستعمار وتأييدهم لاستقلال تونس ومراكش وعطفهم على اللاجئين الفلسطينيين العرب وأملهم فى تسوية عاجلة لمشكلة فلسطين ، ودعوا الى ان تحترم كل دولة سيادة

الاخرى والا تتدخل فى شئونها ، وطالبوا بتحريم انتاج القنبلة الذرية وغيرها من أسلحة التدمير الشامل وكذلك طالبوا بتمثيل الصين الشعبية فى الامم المتحدة .

اقترح رئيس وزراء اندونيسيا على أعضاء المؤتمر عقد مؤتمر آسيوى افريقى واسع وتعهد هو فى اجتماع كولمبو ببحث الوسائل العملية لعقد هذا المؤتمر .

وفى ١٥ سبتمبر سنة ١٩٥٤ اذاع رئيس وزراء أندونيسيا من نيودلهى « ان على الآسيويين أن يقرروا مستقبلهم بعيدا عن تدخل العالم الغربى اذ لايجب أن تستمر دعوى دع الآسيوين يقاتلون الاسيوين فنحن نريد أن نتعاون مع جيراننا الاسيوين والافريقين وان نحيا معهم فى صداقة وان نعمل معا لهدف واحد من أجل صالحنا العام المشترك بيننا جميعا .

وفى نفس اليوم صدر بيان مشترك من سستروا رئيس وزراء اندونيسيا ونهرو رئيس وزراء الهند أعلنا فيه انهما اتفقا على عقد مؤتمر آسيوى افريقى يخدم قضية السلام العالمى ثم أصدر رئيس الحكومة الاندونيسية بلاغا مشتركا مع رئيس حكومة بورما (يونو) تأييدا لعقد مؤتمر آسيوى افريقى ، وارسلت اندونيسيا الى الدول العربية الافريقية تسالها رأيها فى مشروع المؤتمر ، وكان من اهم الردود ذلك القرار الذى أصدره مجلس جامعة الدول العربية فى ١١ ديسمبر سنة ١٩٥٤ متضمنا ترحيب الدول العربية بالاشتراك فى هذا المؤتمر مع اشتراط عدم دعوة اسرائيل الى المؤتمر أو السماح لها بالاشتراك على أى نحو .

وفى يومى ٢٨ ، ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٥٤ عقد فى بوجور (اندونيسيا) مؤتمر من رؤساء حكومات دول كولمبو الخمس ، واصدر مؤتمر بوجور بيانا بالدعوة للمؤتمر الآسيوى الافريقى جاء فيه أن دعوتهم لعقد المؤتمر الآسيوى الافريقى لا تعطى امتيازا لهم على الدول المشتركة فى المؤتمر وبأنهم لايريدون تكوين كتلة اقليمية من الدول الاعضاء وايد المؤتمر قضيتى تونس ومراكش وحدد الدول المدعوة بخمس وعشرين دولة ليس من بينها اسرائيل وقرر مناقشة دعوة الصين الشعبية .

وحدد بيان بوجور أسس المؤتمر واهدافه بأنها تحديد لوضع آسيا وافريقيا وشعوبها فى عالم اليوم وبيان ماتستطيع هذه الشعوب النهوض به فى خدمة السلام والتعاون الدولى . وذلك بالسعى لتوطيد الثقة ودعم التعاون بين البلاد الاسيوية الافريقية لتوضيح المصالح المشتركة والافادة من تبادلها ولتوثيق أواصر المودة وحسن الجوار وبحث المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للدول الآسيوية الافريقية وعلاقتها ببعضها والعمل المشترك للتقدم الاقتصادى ، والدعوة لتبادل المعلومات عن مصادر الثروة الطبيعية وغيرها والمساهمة فى لجنة من الفنيين تعمل فى هذا الميدان .

وبحث القضايا التى تعنى الشعوب الآسيوية والافريقية وخاصة قضايا السيادة القومية ومكافحة التمييز العنصرى والاستعمار .

ودعا بيان بوجور كفالة السلام العالمى وتحريم الاســـلحة الذرية والهدروجينية .

وقرر رؤساء الحكومات الخمس الذين اصدروا البيان أن قبول الدعوة الى المؤتمر الآسيوى الافريقى يعنى موافقة الدول المشتركة على أهــداف المؤتمر بصفة عامة ، وقرروا أنهم يرون ان نظام الحكم أو الحياة لاية دولة لاينبغى أن تكون سببا لتدخل دولة اخرى .

وكان لهذا البيان صدى ضخما فى العالم العربى ، وأذكى نار المعــركة المقدسة التى اتقدت ضد حلف تركيا ــ العراق تحت قيادة الموقف الباسل لشعوبنا العربية وحكومة مصر وسوريا .

وعندما تلقت الجامعة العربية بيان مؤتمر بوجور متضمنا مبادىء واهداف المؤتمر الآسيوى الافريقى اعلنت فى ٥ يناير سنة ١٩٥٥ بيانا تؤيد فيه بيان بوجور .

أما مصر فانهــا قادت الشعوب العربية فى حماسها لهــــذا المؤتمر واقترحت الحكومة المصرية على اللجنة التحضيرية للمؤتمر بحث قضية فلسطين وشمال افريقيا وقضية الحرية والتمييز العنصرى ومراقبــة التســلح .

كانت المؤامرة اذ ذاك على اشدها لضم مصر وسوريا وسائر الــدول العربية والشرق الاوسط الى حلف تركيا ــ العراق . .

وفى الشرق الاقصى كان مستر دلاس وزير الخارجية الامريكية يطير من مدينة الى اخرى فى مزارع المطاط الواسعة هناك ليحمل الحكام على ضم بلادهم الى حلف مانيلا . . حلف جنوب شرق آسيا .

ولم يكد يعلن بيان بوجور فى ديسمبر سنة ١٩٥٤ ويعلن تأييد الجامعة العربية لهذا البيان فى يناير سنة ١٩٥٥ حتى نشطت الدوائر الدبلوماسية الامريكية فى اتصالاتها ، وتدفق الدولار هنا وهناك أنهارا ، وامتــــلأت الصحف المدافعة عن مصالح دوائر المــال الامريكية بكل لسـان ــ حتى اللسان العربى المبين ــ تطعن فى فكرة مؤتمــر باندونج وتستخف به وتتنبأ له بالفشل وتنصح الذين قبلوا الدعوة بالاعتذار وتحذرهم فى خطر الجلوس على مائدة واحدة مع ممثل الصين الشعبية . .

وامتلأت كثير من الرؤوس والقلوب بالفزع والهواجس من لقاء شوان لاى بممثلى البلاد الآسيوية والافريقية . .

وفى غمار هذا الفزع أعلن رئيس وزراء سيام ــ وهى احدى الدول الخمس الداعية الى عقد المؤتمر أن بلاده لن ترتبط بقراراته وأعلن وزير خارجية الفلبين أن بلاده لن تشترك . .

كان مستر فوستر دلاس فى تلك الايام بالذات يثب بطائرته بين سيام والفلبين واعلنت صحف بالذات فى مصر أن مؤتمر باندونج مظاهرةشيوعية قادتها الصين لتخدع بعض الدول الآسيوية والافريقية باسم الاستقلال ، وتجرها الى الجلوس معها على مائدة واحدة ، وتعتبر مجرد الجلوس معها. اعترافا سياسيا !

وفى نفس الوقت كانت قيادات الكفاح الوطنى فى كثير من بلاد آسيا تسعى جاهدة لانجاز عقد المؤتمر ولانقاذه من المؤامرة فأذاع رئيس الرابطة الاسلامية الشعبية (شرق الباكستان) أن مؤتمر باندونج وسيلة لحماية السلام فى آسيا .

ونشرت الصحف المصرية تصريحا للرئيس جمال عبد الناصر اكد فيه ان مصر ستشترك فى المؤتمر ، ولن يعوقها شىء وسنقوم بدورنا فى حماية السلام العالمى والسيادة الوطنية . . .

* * *

ونود هنا ان نذكر موقف كل من المعسكرين الشرقى والغربى من المؤتمر .

نشرت جريدة السن تايمز التى تصدر فى امريكا معبرة عن مصالح الدوائر المالية الامريكية التى تستغل معظم رؤوس أموالها فى شرق آسيا « أن انعقاد مثل هذا المؤتمر يعتبر تهديدا مباشرا للمصالح الأمريكية فى آسيا . ان هذا المؤتمر أمر غير مرغوب فيه الى آخر حد » .

وفى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٥٤ نشرت صحيفة وشنطن بوست مقالا طويلا عن المؤتمر الآسيوى الأفريقى جاء فى مقدمته : « سيكون هذا المؤتمر فرصة لكى تدق الدول الآسيوية والافريقية طبولها مجتمعة فتجد الدول العربية الفرصة للنيل من اسرائيل وتجد اندونيسيا الفرصة للنيل من اليابان وتجد الصين الشيوعية فرصة للدعاية عن نفسها ويصبح المؤتمر كله فرصة لمهاجمة الرجل الأبيض وما يسمى بالاستعمار والتفريق العنصرى . . ان تعصب الملونين وضيق افقهم ليس جديدا فى التاريخ على أى حال » .

وفى تاريخ مماثل نشرت جريدة نيوزويك الامريكية كلاما (مماثلا) . ونشرت جريدة الفيجارو وهى صحيفة تصدر فى فرنسا باللغة الفرنسية تعبيرا عن المصالح والاعمال الامريكية « أن حلف جنوب شرق آسيا هو الذى كفل السلام للآسيوين لا هذا المؤتمر الذى يراد عقده للهجوم على اسرائيل واشعال نار التعصب ضد الرجل الابيض » . واعلنت النيويورك تيمز غضبها على المؤتمر لان اسرائيل وكوريا الجنوبية لم تدع اليه .

وعلى حين كانت الدعوة الى مؤتمر باندونج تعبر عن أمل كل الشعوب الآسيوية والأفريقية فى التعاون الدولى على قدم المساواة ، وفى صيانة

السلام العالى والسيادة القومية لهذه الشعوب التى تشكل اكثر من نصف سكان الكرة الارضية .. على حين كانت الدعوة الى هذا المؤتمر تعبيرا عن رغبة غالبية سكان العالم (الآسيوى والافريقى) فى الفاءالتمييزالعنصرى بينهم وبين مايسمى بالرجل الابيض .. وفى انعاش حياتهم ونهضتهم الاقتصادية والثقافية .. وعلى حين مضت الصحف التى تعبر عن الامانى الوطنية لهذه الشعوب، تظهر تفاؤلها بالمؤتمر بوصفه طريقا لانقاذ الأمن الدولى وأساسا لخلق منطقة سلام فى هذا الجزء من العالم .. وعلى حين كانت مثل هذه الدعوة دليلا على التغيير الذى حدث فى البلاد الآسيوية والافريقية بعد الحرب الاخيرة .. على حين حدث هذا كله فقد أثارت الدعوة الى المؤتمر استفزاز كثيرا من الدوائر الغربية . فقد خافت الدوائر التى تستثمر أموالها فى آسيا وافريقيا والتى تحشد الجيوش وتصدر القوانين والقيم الفكرية والثقافية والاغلال لحماية هذا الاستغلال..خشيت بعض الدوائر من هذا كله فأطلقت صحافتها بكل لسان تطعن فى فكرة المؤتمر .. وتخلق أمامه العراقيل ، وتحذر من الاشتراك فيه ، وتصطنع كل مالديها من وسائل لتشويهه والاستخفاف بقيمته !!

والتقرير المنشور من جامعة الدول العربية عن المؤتمر الاسيوى الافريقى يتعرض لمواقف أخرى لدول أخرى وهذا ما جاء فى تقرير الجامعة العربية بالحرف الواحد « لقى المؤتمر الآسيوى الافريقى تأييدا عاما من جانب المعسكر الشرقى . ولم يكن ذلك عيبا ما دامت الصين الشعبية قد دعيت اليه ، وما دامت اهداف المؤتمر تتجه نحو تحرير الشعوب الاسيوية والافريقية ومحاربة الاستعمار والتمييز العنصرى .

ويبين ذلك فى وضوح من تعليقات الصحف وتصريحات المسئولين .

وقد تركزت تعليقات الصحف فى اتهام الغرب بمحاولة الضغط على الدول المشتركة فى المؤتمر ثم لاشتراك العرب فى منظمة دفاعية جديدة غربية على غرار منظمة الجنوب الشرقى لآسيا .

وفى مقال نشرته جريدة ازفستيا بتاريخ ١١ فبراير سنة ١٩٥٥ بعنوان « رغم دسائس استعماريى واشنطن » تحدث المعقب الدبلوماسى ك . بتروف «K petrov,» عن ترحيب شعوب آسيا وافريقيا بالمؤتمر الآسيوى الافريقى ، وعن حنق الدوائر الحاكمة فى وشنطن حنقا ظهر فى فى ثورة الصحافة الامريكية على المؤتمر .

واقتبس اقوالا لصحيفتى الأهرام والجمهورية المصريتين فى هذا الصدد عقب عليهما قائلا : « ان المناورات التعسفية التى قامت بها الدبلوماسية الغربية لم تنجح فى خديعة الراى العام العربى . فقد عرف هذا العالم أن سياسة واشنطن تستهدف ضم البلاد العربية فى كتلة عسكرية على غرار

منظمة جنوبى شرقى آسيا «Seato» . وهنا يتجلى الدافع الحقيقى التى انطوت عليه دعوة امريكا للبلاد العربية بان تمتنع عن الاشتراك فى المؤتمر الآسيوى الافريقى ، وبأن ترفض المساهمة فى اية تدابير مشتركة تتخذها جميع البلاد التى تمثل القارتين لتأمين سلامتها وتحريرها وتحقيق استقلالها .

« وعلى الرغم من تقديرات الدوائر الرسمية الامريكية ، فان بلاد الشرقين الأدنى والأوسط قبلت الدعوة الى مؤتمر باندونج .

وقد عبر الامين العام لجامعة الدول العربية عن اتفاق اهداف المؤتمر مع اهداف الجامعة فقال : « ولا ريب لن جامعة الدول العربية تؤيد السعى لتوطيد الثقة ودعم التعاون بين البلاد الآسيوية والافريقية ، لكى توضح معالم المصالح المشتركة بينها وتفيد فى تبادلها ولكى تؤسس وتمكن اواصر الود وحسن الجوار بينها »

وختم الرفيق ك . بتروف حديثه بقوله : « ان الاهمية التى توليها جمهرة شعوب آسيا وافريقيا للمؤتمر ، رغم مكائد الاستعماريين الامريكان والانجليز لتبين فى قوة ان هذه الشعوب تتجه الآن الى مزيد من التقدير الحقيقة البينة . وهى انها يجب ان تتعاون فى بذل الجهود للكفاح من اجل السلام والاستقلال الوطنى ».

وعالج مقال ، فى نشرة الاستعلامات الصادرة فى يوم ٧ مارس سنة ١٩٥٥ عن السفارة السوفيتية بالقاهرة ، موضوع هذا المؤتمر . فحمل على الاستغلال الاستعمارى لبلاد آسيا وافريقيا، ومحاربة الآسيويين والافريقيين للعبودية ، وكفاحهم فى سبيل التحرير ثم قال :

« وقد حدثت تغييرات كبرى وخاصة فى آسيا . ادت الى ان اصبح اليوم تقرير مستقبل آسيا بيد الآسيويين انفسهم لابيد الدول الاستعمارية والسياسة الخارجية الخاصة لبلاد آسيا المستقلة تصدر الآن عن روح السلام ، وتتجه الى السعى للمحافظة على الامن العالمى . وفى امثلة هذا موقف الدول الآسيوية فى هدنة كوريا ومشكلة الهند الصينية واعلان المبادىء الخمسة للتعايش السلمى بين جمهورية الشعب الصينى والهند وبورما . وتأييد عدد آخر من البلاد لهذه المبادىء ، يضع قاعدة التعاون الوثيق بين البلاد الآسيوية والافريقية فى سبيل كفالة السلام ودعمه ومكافحة الاستعمار » .

وتحدث المقال عن ترحيب الدول الآسيوية والأفريقية بالمؤتمر ، وتجهم صحافة الغرب وخاصة امريكا له . وقال ان هذا التجهم طبيعى فى أمريكا التى سلكت سياسة استعمارية عقب الحرب العالمية الثانية ، وأصبحت العدو الأول لشعوب آسيا وافريقيا ، تلك الشعوب التى ظفر بعضها بالاستقلال ، ولا زال بعضها يكافح فى سبيله . وضرب الأمثلة لجهد

أمريكا فى هذا السبيل الاستعمارى بحلف جنوب شرق آسيا . والضغط على البلاد العربية لتأليف كتلة دفاعية عن الشرق الأوسط ، والاتفاق مع شان كايشيك . ثم قال ان أمريكا تبذل جهودا وضيعة للتفريق بين البلاد العربية ، وجرها الى سياسة الأحلاف مع أن صوالح العرب فى الاتحاد مع الدول الآسيوية الافريقية . ولهذا كان من الطبيعى أن تثور الصحافة الأمريكية لمحادثات رئيسى حكومتى الهند ومصر : نهرو .. وعبدالناصر !.

وانتهى المقال الى أن من الممكن ، رغم الخطط الاستعمارية ، أن يصبح المؤتمر نقطة هامة فى تاريخ الكفاح الآسيوى الافريقى ، اذا تحرت البلاد المشتركة فيه مصالحها الخاصة وتمكين تعاونها ووحدتها فى سبيل الدفاع عن مصالحها . فمثل هذا يكسبها قوة تقضى على ما ترسمه الدول الاستعمارية من خطوط متخاذلة وصرحت المصادر المسئولة فى موسكو يوم ٩ مارس سنة ١٩٥٥ بأن المارشال بولجانين رئيس حكومة الاتحاد السوفيتى عبر عن رأيه فى المؤتمر لسفير بورما فى موسكو اذ قال : « ان المؤتمر الآسيوى الأفريقى فى مؤتمر عظيم الأهمية جليل الفائدة » ...

هذا هو موقف الكتلة الشرقية فى المؤتمر ...

* * *

أما موقف الكتلة الغربية من المؤتمر الآسيوى الافريقى .. أما هذا الخط الغريب عليه فيرجع الى عديد من الأسباب :

أولها : هو تعارض أهداف المؤتمر مع المصالح الغربية هناك اذ ان مصادر الثروة والموارد الأولية للاحتكارات الأجنبية تكمن كلها فى بلاد تلك المنطقة فضلا عن أن ٤٠ ٪ من صادرات الاحتكارات الغربية تتخذ من تلك المنطقة أسواقها ..

ثم ان سياسة الاعداد للحرب قائمة على حشد الدول الآسيوية والافريقية فى احلاف عسكرية ضد الاتحاد السوفيتى « كحلف تركيا ـ باكستان وتركيا ـ العراق وجنوب شرق آسيا » .. وهذه التحضيرات للحرب تقتضى السيطرة الكاملة على ثقافة واقتصاديات وسياسة البلاد المشتركة فى باندونج .. وما زالت ترهق ضمائرنا ذكريات رهيبة من وحشية التدخل الأجنبى فى ايران للاحتفاظ بالبترول وانتزاعه من يد الشعب الذى قرر تأميمه ، وما زالت ذكريات من بطولة فاطمى ومصرع مئات غيره من الشهداء ، ترعش نبضاتنا حتى الأعماق .. !

ولكيلا تسيل دماء أخرى من بعد ، اتجهت ارادة الذين نادوا بعقد المؤتمر واحسنوا استقباله ، الى بحث وسائل النهوض بالاقتصاد الوطنى وحماية السيادة الوطنية من كافة اشكال التدخل الأجنبى ، والى التعاون السلمى بين كافة الدول على أساس الاحترام المتبادل والمزايا المتكافئة .

وثمة أسباب أخرى لهجوم الكتلة الغربية على فكرة عقد المؤتمر أوردها تقرير الجامعة العربية .

قد يقوى فكرة انضمام الصين الشعبية الى الأمم المتحدة وهـذا هو أول ما تكافحه الولايات المتحدة وكان للصهيونية سلطانها فى هذه الولايات فقد تلقت بيان بوجور بهياج ظاهر عبرت عنه الصحافة الأمريكية غداة اعلان البيـــان » ويمضى تقرير الجامعة فى تعليل هياج بعض الدوائر الغربيـــه ومحاولاتها احباط انعقاد المؤتمر بما يلى :

اولا — دعوة الصـين الشعبية لحضور المؤتمر وهو أمر كانت سـيلان وباكستان تعـارضانه فى مؤتمر بوجور ثم سويت المسألة بدعوة اليـــابان والصين الشعبية معا وكذلك انتصار الجامعة العربية بعدم دعوة اسرائيل .

ثانيا — الاعلان عن أن الاســـتعمار والتمييز العنصرى سـيكونان من موضوعات المؤتمر الأساسـية وهذا أمر يرضى الشرق بقـدر ما يغضب الغرب .

ولمحاولة احباط المؤتمر قصـــة بدأت بالهجوم العنيف عليـه اثناء التحضير ثم الاختلاف السـياسى بين بعض الدوائر الغربيـة الذى يحركه تعارض المصالح الاقتصادية ثم تراجع المختلفين جميعـــا عن الهجوم على المؤتمر ومحاولة تخريبه من الداخل .

وبعد الهجوم العنيف الذى شنته بعض الصحف الأمريكية الصـــادرة ملفات مختلفة بدأ التراجع والتشكيك فى قيمة المؤتمر والسخرية به وللتأكيد الى حد القسم بأنه لن يعقد . حتى اذا تأكدت الدوائر التى تشفق من انعقاد المؤتمر ويهـدد وجودها التقاء ارادة كل الشعوب الآسيوية والافريقيـة ، حتى اذا تأكدت انها لن تفلح فى منع عقد المؤتمر وسينعقد على الرغم منهـا ولن تكسب الا امتناع عميلاتها فى الشرق الاوسط أو فى جنوب شرق آسيا عن حضور المؤتمر .

والتفسير سهل بسيط ، وهو يفسر ايضا الموقف المتخبط الذى وقفته بعض الأبواق وبعض الدول التابعة لدوائر بعينها فى الغرب تقوم حياتها على استثمار الأرض والناس فى آسيا وأفريقيا وعلى تجارة السلاح . فقد قررت هذه الدوائر الغربية أن تشترك فى المؤتمر وتشرك فيه الدولتين اللتـين انسحبتا « الفلبين وسيام » وغيرهما من الدول التابعة التى هاجمت فكرة المؤتمر فى أول الأمر . . وخيـــل لصانعى الافلام ، أفلام المغامرات ، انهم يستطيعون أن يجعلوا من هذه الدول التابعة حصان طروادة الخرافى الذى يخرج منه فى الوقت المناسب جنود يحرقون المدينة ويدوسون الحضـــارة والثقافة وكل القيم الرائعة . . غير ان الذين اجتمعوا فى باندونج لم يكونوا كأهل طروادة . . كان كل منهم هكتور جديد يملك مصيره ولا يموت . . اما الحصان الخشبى فكان لعبة أطفال .

وهكذا فشل النجار الحديث جون فوستر دلاس ولم تستطع الدمى

الخشبية الصغيرة التى صنعها ان تحول الحراب الى صدور الشرفاء .
كانت هذه الدمى مجرد لعب يتلهى بها اطفال !!

* * *

ومنذ اعلن بيان بوجور واعلنت حكومة مصر موقفها الرائع فى ينـاير سنة ١٩٥٥ ودبلوماسـية الدوائر التى تعادى المؤتمر تمارس كل أنواع الضغط والحيلة والخديعة لتحمـل مصر وسوريا على الانضمام الى حلف تركيا ـ العراق او تركيا ـ باكستان ولتحمل الهند وبورما على الانضمام الى حلف جنوب شرقى آسيا .

ولكن مصر والهند وبورما واندونيسيا كل منهم تواجه الضغط بمزيد من الاصرار والرفض والأمل فى التقاء الشعوب الآسيوية الافريقية والحرص الرائع على التعايش السلمى والاندفاع المجيد فى فضح التكتلات العسكرية .

ودعت واشنطن الى مؤتمر عقد فى ٢٣ فبراير سنة ١٩٥٥ فى مدينـة بنكوك حضره مستر دلاس ليغرى به دول جنوبى شرق آسيا ويوقعها فى قبضة الدولار . وفى المؤتمر الذى عقد تمهيدا لتوثيق حلف جنوب شرق آسيا اصطدمت بمخاوف الاحتكارات البريطانية المتهالكة التى تملك كثيرا من مصادر الثروة فى تلك المنطقة ، بمطامع الاحتكارات الامريكية الفنية التى تعانى أزمة توزيع وتملك اقوى صناعة فى العـالم الغربى واقوى الاجهزة والوسائل هناك باسم مشروع ايزنهاور لتحمل كثيرا من الدول على سلوك سياسة بعينها فى مؤتمر باندونج .

وروعت الدوائر البريطانية من هذه الرشوة وولد مشروع ميثاق حلف جنوبى شرقى آسيا يحمل بذور فنائه :

فلم تفلح واشنطن فى أن تجر فى سياستها غير حكومات الدول المجرورة من قبـل .

ولقد حاولت ان تستخفى تحت شعار آسيا الحرة وتغرى بمساعدتها المالية « الدول الحرة » بزعامة فورموزا وكوريا الجنوبية والفلبين .

واعلنت صحف آسـيوية كثيرة حتى فى الدول التى تسـميها امريكا « حرة » أن عقد حلف جنوب شرق آسـيا يعتبر خيانة لروح جنيف ، واهدارا للرغبات الطيبة التى ابديت فى مؤتمر جنيف .. فقد عقد مؤتمر بنكوك قبل أن يجف المداد الذى كتبت به توصيات مؤتمر جنيف .. ومؤتمر جنيف هو أول مؤتمر رسمى يعقد بعد الحرب الكبرى ويلتقى فيه الخمس الكبار تحقيقا لرغبة شعوب العالم التى ظل يعبر عنها انصار السلام العالمى ومجلس السلام العالمى فى سلسلة من النداءات والعرائض والتوقيعات منذ سنة ١٩٤٩ ..

* * *

على أن تحفز الدوائر المعادية لباندونج ، كان يقابلها من الناحية الأخرى يقظـــة شعوبنا لتطهير الطـريق الى باندونج من كل الأشـواك والأفاعى والصخور . . كانت البيانات الوطنية التى يعلنها الرئيس جمال عبدالناصر ونهرو وسوكارنو والمقالات الملتهبة التى يكتبها الزعماء الوطنيون فى سوريا ومحطة الاذاعة المصرية بكل طاقاتها . . كان كل ذلك تعبيرا عن آمال شعوبنا العربية وحرصها على نجاح المؤتمر .

* * *

وشهدت نيودلهى فى تلك الفترة مؤتمر الســـلام للشعوب الآسيوية دعت اليه لجنة واسعة من انصـــار السلام والمكافحين الوطنيين فى الهند فتولت سكرتارية اللجنة السيدة رمشوارى نهرو . . واشترك فى هـــذا المؤتمر مندوبون من الهند والصين واليابان والاتحـاد السـوفيتى وبورما والباكستان وسوريا ولبنان والأردن وظل المؤتمر مجتمعا خمسة أيام تحت راية تضامن الشعوب الآسيوية ثم أصدر قراراته تأيبدا للمبادىء الخمس التى اتفق عليها نهرو وشوان لاى .

« أ » الاحترام المتبادل للسيادة الوطنية والحدود الاقليمية «ب» عدم الاعتداء « ج » عدم التدخل فى الشئون الداخلية « د » المساواة وتبـــادل المنافع « هـ » التعايش السلمى .

وأصدرت قرارات اخرى بتحريم انتاج اســتعمال وتجربة الأسلحة الشاملة الابادة واتلاف المخزون منها فورا واستخدام الطاقة الذرية للأغراض السلمية واقامة رقابة دولية على الطاقة الذرية واعادة الحقوق الشرعيـــة للصين الشعبية فى الأمم المتحدة ومناشدة الامم المتحدة أن تعود الى روحها وأهدافها الأصلية التى الهمت مؤسسيها واوصت بأن تقيم البلاد الآسيوية علاقات رسمية مباشرة فيما بينها وبأن تقبل اليابان فى الأمم المتحدة بدون التزامات عسكرية وطالب بالغاء التمييز العنصرى وبحرية التجارة وبوضع سياسة اقتصادية وطنية للبلدان الآسيوية وبتطوير وحماية الثقـــافات الوطنية واعادة الروابط الثقافية وتوسيع تبادل الخبرة بين البلاد الآسيوية وكافة جميع بلاد العالم وباعطاء الحكومات الشرعية حقوق الســيادة على أرضها وطالب بمساواة النساء بالرجال واعطائهن حقوقهن وتوفير الشروط الضرورية لسلامة نمو الاطفال . ثم أصدر المؤتمر قرارا خاصا بتأييد نضال الشعوب العربيـــة وهاجم الضغط العدوانى الذى تمارسه بعض الدوائر الاستعمارية عن طريق اسرائيل وتركيا لانشاء الأحلاف والقواعدالعسكرية فى البلاد العربية واعادة السيطرة الاستعمارية عليها وايد المؤتمر اللاجئين العرب وحقهم فى العودة الى فلسطين .

ثم وجه مؤتمر نيودلهى رسالة الى مؤتمر باندونج دعا فيهـــا جميع

الشعوب الآسيوية والافريقية الى المساهمة فى تطوير روح التضامن القائم على الرضى غير المشروط بمبادىء التعايش السلمى ، وايد شعوب كينيا ومراكش وتونس والجزائر وغيرها من الشعوب الافريقية المناضلة وأبدى استنكاره للارهاب والفظائع التى تحيق بشعوب شمال افريقيا المناضلة من أجل الحرية ودعا الى وضع حد لهذه البربرية . وأصدر احتجاجا ضد جميع الأحلاف والقواعد العسكرية فى آسيا مثل حلف جنوب شرق آسيا والحلف التركى العراقى . وأصدر قرارا يقضى بوجوب ازالة جميع القواعد العسكرية الأجنبية من آسيا وجلاء الجيوش الأجنبية واستنكار الضغط على بلاد آسيا بقصد ارغامها على الانضمام الى أحد هذه الأحلاف .

* * *

وبدات الوفود تقبل على باندونج من تسع وعشرين دولة آسيوية وافريقية .. يسندها نضال الشعوب العربية وشعوب الشرق الأوسط والأدنى ضد الاستعمار ويدعمها انتصار الصين الشعبية وهزيمة المحاولات الجنوبية فى كوريا والهند الصينية ، وكفاح لا تخمد جذوته تخوضه فى سبيل العدل شعوب شمال افريقيا وكينيا والملايو والكمرون وجنوب افريقيا.

وقبل عقد المؤتمر بيومين سقطت طائرة الوفد الصينى محترقة فى اعماق البحر الذى تحرس اعمال القرصنة فيه أساطيل تملك المدافع الذرية والنساء الشقراوات .

واعلنت وكالات الأنباء الغربية فى نبرة اسف مصطنع لم تستطع أن تخفى فرحها الوحشى أن طائرة الوفد الصينى احترقت وسقطت فى الماء ، وظنت أن شوا ين لاى من بين الذين احترقوا .. وبعد ساعات أعلنت وكالات الأنباء نفسها بنبرة أسف صادق هذه المرة أن شوا ين لاى لم يكن من بين ركاب الطائرة ، وانه حى لم يمت ..

وصرح نهرو أن حادث الطائرة كان متعمدا ومن فعل فاعل .. وثبت فيما بعد أن قنبلة زمنية وضعت فى الطائرة .

واذاع راديو بكين أن مؤامرة استعمارية احرقت الطائرة ، وكانت ترمى الى قتل الوفد الصينى كله واسقاط حكومة اندونيسيا لاحباط المؤتمر الآسيوى ..

واسقاط حكومة اندونيسيا التى تقود فى جنوب شرقى آسيا سياسة الحياد الايجابى هو من أهداف بعض الدوائر الحاكمة فى الغرب أكثر من مرة .. ولم تنجح هذه الدوائر فى كل محاولاتها وان كانت قد نجحت فى قلب نظام الحكم بجواتيمالا بأمريكا اللاتينية !!

* * *

وفى يوم ١٦ ابريل سنة ١٩٥٥ أى قبل جلسة الافتتاح بيومين اذاعت وزارة الخارجية السوفيتية على العالم بيانا جاء فيه :

« فى ١٨ ابريل يفتتح فى باندونج باندونيسيا مؤتمر آسيا وافريقيا تشترك فيه الهند واندونيسيا وبورما وباكستان وسيلان وافغانستان وكمبوديا وجمهورية الصين الشعبية ومصر والحبشة وساحل الذهب وايران والعراق واليابان والأردن ولاوس ولبنان وليبيا ونيبال والفلبين والعربية السعودية والسودان وسوريا وسيام وتركيا وجمهورية فيتنام الديمقراطية وجنوب فيتنام واليمن . . فلأول مرة فى التاريخ يجتمع مندوبون من تسع وعشرين دولة آسيوية وافريقية يمثلون أكثر من نصف تعداد البشر ليتدارسوا معا مشاكل على جانب من الخطورة والأهمية فى تدعيم السلام والتعاون بين الشعوب .

ان انعقاد مؤتمر يمثل البلاد الآسيوية والافريقية انما يعكس بلا ريب التغيرات العظيمة التى حدثت فى الآونة الأخيرة فى هذه المناطق ويعبر عن رغبة الشعوب الآسيوية والافريقية فى أن تضع مصيرها بين يديها . ان الشعوب الآسيوية والافريقية تفهم بوضوح أن التحرر والاستقلال والسلام والتعاون هى وحدها التى تكفل الظروف الضرورية اللازمة للتطور السياسى والاقتصادى والثقافى . . . ان شعوب الاتحاد السوفيتى لتهتم كل الاهتمام وتؤيد كل التأييد كفاح الدول الآسيوية والافريقية ضد كل اشكال السيطرة الاستعمارية وفى سبيل الاستقلال السياسى والاقتصادى . . . اننا نتمنى باخلاص لمؤتمر باندونج نشاطا مثمرا ونحن موقنون أن هذا المؤتمر سيعمل على تمكين الروح الوطنية فى الشعوب الآسيوية والافريقية وانه سيسجل تقدما جديدا فى نمو التعاون بين الشعوب لتفريج التوتر الدولى وتدعيم السلام العالى . . »

* * *

وخلال هذا الجو المشحون بالأمل المتوتر بالمؤامرة تمت المعجزة وافتتح مؤتمر باندونج فى ١٨ ابريل سنة ١٩٥٥ .

اشتركت فيه ثلاثون دولة لكل دولة وضعها وأملها . .

اما مصر فقد كانت من ارفع الدول المحايدة فى هذا المؤتمر .

مضت الى هناك بعد أن رفضت كل اشكال الضغط التى استعملتها بعض الدوائر الغربية لتضمها الى حلف دفاعى مشترك . .

مضت مصر وفى جعبتها مشروع ميثاق سورى سعودى تواجه به عدوان اسرائيل واستفزازات تركيا على حدودها وعلى الحدود السورية .

مضت مصر : قلبها ينبض بالأمل وظهرها مثقل بالمتاعب التى صنعتها لها السياسة الغربية المعادية للسلام ، وعينها مفتوحة من الحذر وفى قلبها ثقة . .

مضت مصر لتشترك فى باندونج والقطن المصرى تحـاربه فى الأسواق العالمية اعانة التصدير الأمريكية وايمانهـا مع ذلك لا يتزعزع فى المستقبل وفى القدرة على أن تمضى فتصنع لنفسها حياة مستقلة كريمة .

اشتركت مصر فى المؤتمر بأكبر الوفود عددا . . وفد على راسه الرئيس جمال عبد الناصر .

مضت مصر الى باندونج تتعلق بآمال كل الشعوب العربية بعد موقفها الباسل من حلف تركيا العراق ، وتناوشها المؤامرات التى نسج خيوطهـا مغامرو البورصة فى وال ستريت وصانعو مأساة شعب فلسطين ، وتتصاعد من ورائها همهمة نباح من الذين يضعون فوق الرءوس طواقى حمراء . . حمراء كالدم . . حمراء كنجمة اسرائيل !

وعندما كانت اذاعة اسرائيل تفرغ كل قذارتها على باندونج وعنـدما كانت العصابات تسفك دماء المصريين على الحدود ، كانت صحف تصدر فى امريكا معبرة عن مصالح تجار السلاح والصهيونيين تهاجم مصر وعبدالناصر وباندونج ومشروع الميثـاق العربى ، وكانت صحف محملة بعفن الرطوبة وظلمة المقبرة ــ تصدر فى مصر لتترجم الى اللغة العربية كل هذه القذارات ، ويسرح بما فيهـا على المقاهى غلمان صفر يربون اللحم فى القفـا وعلى الأصداغ ، ويحـاولون أن يكتسبوا بطولة زائفة بطعن الحكومة القائمـة والتشهير بالنظام . .

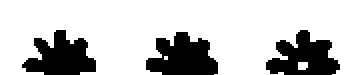
ومضت بعض هذه النشرات تقول « ان السلام العالمى شعار مضلل » ومضى بعضها يقول ان النظام القائم فاشي ولا بأس من التعـاون حتى مع القوى الأجنبية « وطبعا مع اسرائيل » للقضاء على النظام القائم فى مصر . .

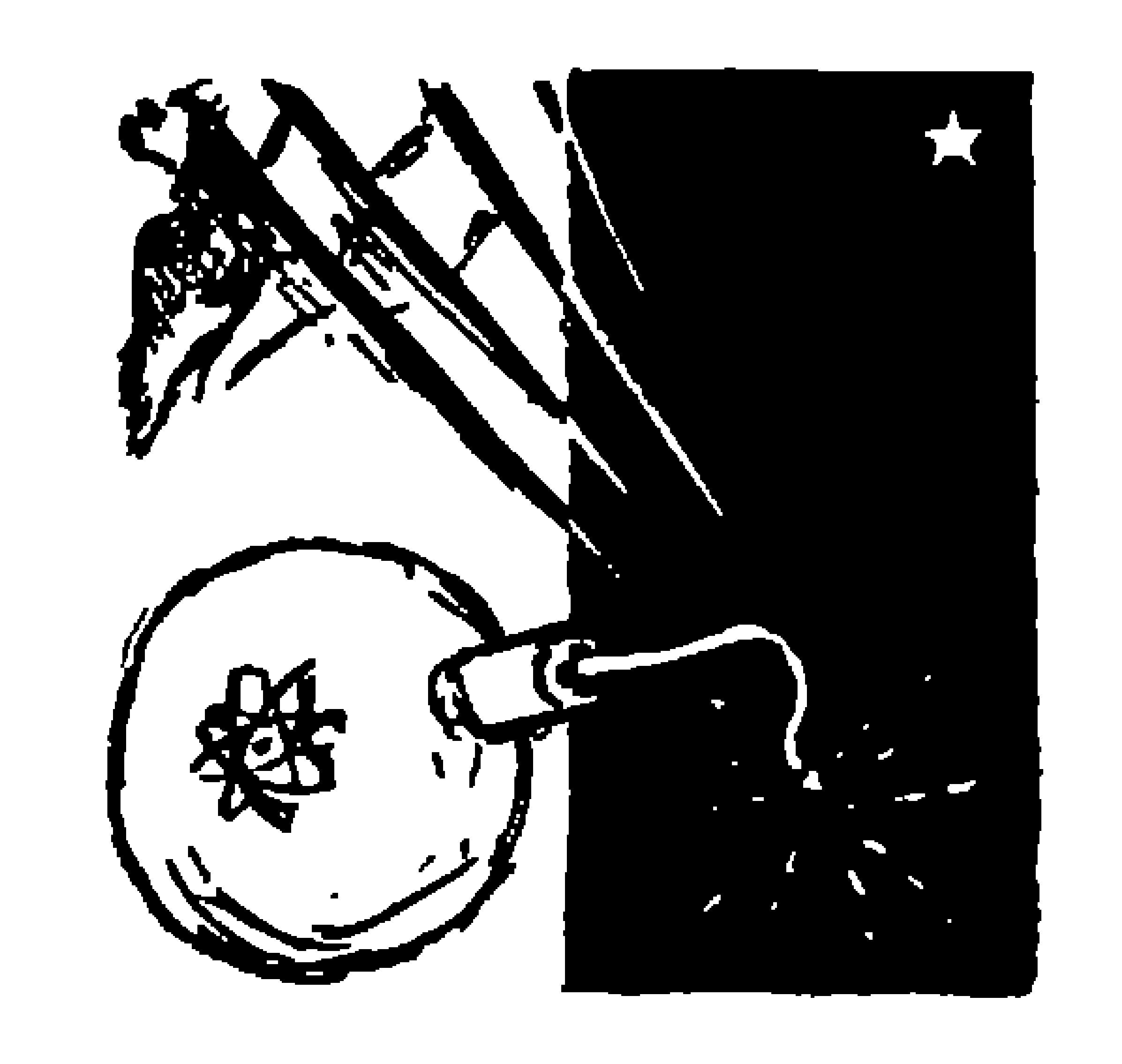
وكان طبيعيا مع كل هذا ان ينشر ممولوا هذه الصحف العفنة كلمات ركيكة مبتذلة كالحجارة الملوثة فى الخرائب ، انتزعوها من انهيارهم ورصوها وكتبوا بها قصيد هجاء . . أو رثاء . . رثاء لا لضـمائرهم بالطبع ، ولا لشرفهم ، وانما كطريقـة داعرة للطعن فى الكتاب الوطنيين المناضـلين عن السلام واستقلال الوطن . حاول الذين يصدرون هذه الصحف أن يشهروا بهؤلاء الكتاب مستعملين أكثر الأساليب انحطاطا ووحشـية لأن هؤلاء الكتاب كشفوا بتحركهم الايجابى كل المؤامرات التى يراد بها عزل شعبنا عن المعركة ، وتحطيم سياسة الحياد الايجابى التى تتخذها ببسالة حكومة مصر . . وكان لا بد من نصوص لكمال الزيف . . أما النصوص فقد وضعت عليهـا أسماء فلاسـفة وثوار قدماء . . ولكنها فى الحق كانت لـكتاب وصحفيين معاصرين يعملون فى الفيجارو الفرنسية وفى أجهزة أمن الدولة الامريكية وفى راديو اسرائيل . . قال كاتب أمريكى يمثل مصالح الاحتكارات الأمريكية التى تعمل فى آسيا وافريقيا : ان سياسة مصر الخارجية المستقلة انما هى خديعة للاستهلاك المحلى . . وقالت الفيجارو وقال راديو اسرائيل نفس

الكلمات . . ونشرت فى مصر باللغة العربية فى هذه الصحف . نفس العبارات ، مع بعض كلمات التشهير بالكتاب الوطنيين . . كلمات لم يعد يسمعها الناس منذ الغيت أحياء الدعارة الرسمية !!

عنـــدما كانت تنشر كل هذه الأشـــياء فى مصر كان الدبلوماســيون الأمريكيون يتدفقون على باندونج ويعملون بنشاط متصل لتحطيم المؤتمر ولمنع عقده ، وكانت مجلة النيوز السوفيتية تتولى الرد . . أوجزت المجلة السوفيتية المذكورة هذه الحملات وتولت الرد عنها كلها فى مقال طويل نشر فى عدد ١٩ أكتوبر سنة ١٩٥٥ .

وعلى الرغم من أن الحكومة الأندونيسية نقلت مكان المؤتمر من جاكارتا . لأنها مدينة مزدحمة يبلغ سكانها ٢ مليون ويسيطر فيها الماليون الهولنديون والأمريكيون على عصابات بأسرها من قطـاع الطرق . . على الرغم من أن الحكومة الأندونيسية نقلت مكان المؤتمر الى « باندونج » عاصمة الجبــل التى تسهل حراستها ، فقد اكتشفت الحكومة الأندونيسية عدة محاولات لتطويرها ونسف المؤتمر . . وكانت عصابات أخرى من البغـــايا والمرتزقة تخدع الآخرين وترهب هواة السياسة فى الخطوط الخلفية للمؤتمر .





الفصل الثانى

مضى الذين اثقلتهم سنوات طوال من المحنة يلتقون فى باندونج . منهم من يعبر عن ارادة شعبه ومنهم من كبل شعبه فى الحديد واثقل خطواته بالمحالفات العسكرية الأجنبية .

وفى هذا الفصل نحاول ان نوضح حالة بعض الدول التى لعبت دورا ما فى المؤتمر ليتبين لنا كيف نطق هذا الرجل أو ذاك . .

كانت هناك جبهة تقف فيها مصر ، والصين الشعبية ، والهند ، وبورما ، وسوريا . . وجبهة اخرى ذهبت اليه كحصان طرواده تقف فيها : باكستان ، والفلبين ، وتركيا ، والعراق . والدول المشتركة تقف هنا أو هناك . واهم دول الجبهتين هى :

١ — اندونيسيا — مساحتها ١ر٤٩١ر٦٠٠ كيلو متر مربع فى اربعة جزائر يعرف المصريون منها جزيرة جاوة غير خمسة عشر جزيرة اخرى صغيرة . وتعدادها ٧٨٢٠٠٠٠٠ يشتغل ٧٠٪ من سكانها فى الزراعة . ظلت مستعمرة هولندية مدى ٣٥٠ عاما . اشتعلت فيها ثورة وطنية لتحريرها بعد الحرب الأخيرة واعلنت الجمهورية فى ١٧ اغسطس سنة ١٩٤٥ ولم يعترف باستقلالها الا سنة ١٩٤٩ .

اعترفت لاهاى « هولندا » باستقلالها سنة ١٩٥٤ ، وعاصمتها جاكارتا وتعداد العاصمة ٢٨٠٠٠٠٠ . وباندونج من مدنها الكبرى وتعدادها ٧٥٠٠٠٠ ومنتجاتها الرئيسية المطاط والأرز والسكر والبن والشاى والعاج وزيت جوز الهند والبترول وهى من اكثر بلاد العالم للمطاط والبترول والقصدير .

وهى غير مرتبطة باى حلف عسكرى وقد رفضت دائما منذ ثورتها

أن تشترك فى اى حلف عسكرى وهى فى سياستها الخارجية مستقلة تمام الاستقلال تتبع سياسة الحياد .

٢ ــ بورما ــ منطقة استوائية نصف مساحتها تغطيه الغابات وسكانها نحو ١٩٢٠٠٠٠٠ ويعيش اكثر من ٧٥ ٪ من السكان على الزراعة . وعاصمتها رانجون تعدادها ٥٠٠٠٠٠ نسمة كانت مستعمرة بريطانية ونشبت فيها ثورة بعد الحرب الأخيرة وحصلت على استقلالها سنة ١٩٤٧ واصبحت جمهورية اتحادية . راهم منتجاتها المطاط والارز والزنك والاخشاب والرصاص والنحاس والقصدير .

وفى بورما كفاح بطولى متصل لاستكمال السيادة وتحرير التجارة وتجارتها نشطة مع الهند .

تنهج بورما سياسة الحياد . ولهذا رفضت مساعدات الغرب العسكرية ونسقت سياستها مع الهند ، وعقدت ميثاق عدم اعتداء مع روسيا .

ورفضت الاشتراك فى الأحلاف العسكرية .

٣ ــ الهند ــ « كما جاء فى شرح الجامعة العربية » تقوم سياسة الهند على الحياد فى المجال الدولى ، حيادا ايجابيا يساهم به قادتها فى معالجة المشاكل الدولية ، من غير نزوع الى مناصرة فريق بعينه .

وهم لهذا ينادون بالتعايش السلمى ، ونبذ سياسة الاحلاف العسكرية التى تزيد حدة التوتر الدولى فى رايهم .

وقد عقدت الهند مع الصين الشعبية ميثاق عدم اعتداء ينص على احترام كل منهما لسيادة الاخرى وسلامة اراضيها ونظامها الداخلى ، وعلى عدم التدخل فى الشئون الداخلية . وعلى حياة كل منهما مع الاخرى .

٤ ــ افغانستان ــ تترسم افغانستان سياسة الحياد ، وتتلقى معونات من الاتحاد السوفيتى ومن امريكا على السواء مقدرة عامل جوارها لروسيا .

٥ ــ تركيا ــ تتعاون تركيا مع دول الغرب فى سبيل أهداف مشتركة. وقد ارتبطت بحلف الاطلسى فى فبراير سنة ١٩٥٢ ، وحلف تركيا ــ باكستان ــ فى أبريل سنة ١٩٥٤ وحلف البلقان فى أغسطس سنة ١٩٥٤ وحلف تركيا ــ العراق فى يناير سنة ١٩٥٥ .

٦ ــ الفلبين ــ ارتبطت الفلبين بمعاهدة حربية مع الولايات المتحدة عقدت فى ١٤ مارس سنة ١٩٤٧ لمدة ٩٩ سنة ، منحت امريكا عددا من القواعد للقوات الامريكية جوية ، وبرية وبحرية مع الترخيص فى اتخاذ قواعد اكثر عند الضرورات الحربية . كما ارتبطت بحلف مانيلا للدفاع عن جنوب شرقى آسيا .

٧ ــ العراق ــ ملكية عربية يحكمها نورى السعيد ويسيطر عليهـا نظام الاقطاع وناضل شعبها منذ زمن بعيد ببسالة نادرة ضد مظالم الاقطاع والاستعمار الانجليزى وأهم مصدر غنى للعراق هو البترول وتسيطر عليه شركتان بريطانيتان شركة البترول العراقية والشركة الانجليزية الايرانية . والعراق قاعدة عسكرية لقوات الغرب قد أصبح جيشها بمقتضى معاهدة نورى السعيد خاضعا للقيادة الاجنبية ومرتبطا باستراتيجية هذه القيادة .

والعراق هى عصب الحلف التركى العراقى الذى يربط سياستها الرسمية بسياسة تركيا وحلف تركيا باكستان ــ أمريكا . . وحلف جنوب شرق آسيا الباكستان عضو فى حلف الاطلنطى . وموقف الحكومة العراقية التى اشتركت فى باندونج من وحدة الكفاح العربى موقف معروف .

٨ ــ الباكستان ــ باكستان الشرقية والغربية ــ ارتبطت باكستان بحلف دفاعى مع تركيا فى أبريل من عام ١٩٥٤ ، كما ارتبطت بمعاهدة مانيلا فى الدفاع عن جنوبى شرقى آسيا فى سبتمبر سنة ١٩٥٤ ــ وكذلك عقدت مع الولايات المتحدة الامريكية فى نفس العام اتفاق تسلح يترتب عليه امداد الولايات المتحدة اياها بالعتاد الحربى كفالة لأمنها ومساهمتها فى كفالة السلام العالمى ، كما يمنح الولايات المتحدة حق انشاء قواعد فى أراضيها .

فمصالحها مرتبطة بالغرب لكنها كذلك دولة شرقية اسلامية تتوسط الشرقين الأوسط والاقصى ومصالحها فيهما لاتقل عن مصالحها الغربية . تعدادها . . . ر . . ٨٠ر٧٥ مليون .

٩ ــ سيلان ــ تشبه سيلان باكستان . فمصالح سيلان السياسية مرتبطة بالغرب ارتباط مصالحها الاقتصادية . فهى حين استقلت داخل نطاق الكومنولث نص ميثاق الاستقلال بين سيلان وبريطانيا على المساعدات العسكرية اللازمة للأمن والدفاع ضد العدوان الخارجى ، كما نص على ان تتولى بريطانيا تدريب الجيش السيلانى وأن تنتفع بقواعد بريطانية برية وبحرية وجوية فى أراضى سيلان وعلى أن تحتفظ بقوات فى هذه البلاد .

لكنها رفضت الاشتراك فى حلف مانيلا أسوة بالهند وبورما واندنيسيا ومؤتمر كولمبو التمهيدى لمؤتمر بجور عقد فى عاصمة سيلان . .

* * *

مضت هذه القوى جميعا الى المؤتمر . . الكثيرون يريدون أن يتفقوا على العمل للمصالح المشتركة وقليلون جدا ، يخفون الأفاعى وراء اغصان الزيتون . . ولكن أغصان الزيتون لاتخفى الافاعى . .

وقبل افتتاح المؤتمر بيومين كان الاتحاد السوفيتى قد أرسل مذكرة يحتج فيها على محاولة فرض أحلاف عسكرية على شعوب الشرق الاوسط

والادنى واشار ببسالة لمقاومة مصر وسوريا لهذا الضغط الاستعمارى وفضح الاستفزازات الاسرائيلية .

* * *

افتتح المؤتمر يوم ١٨ ابريل سنة ١٩٥٥ فى جو مثقل بالأسف بعد فاجعة الطائرة الصينية منتعش بالتفاؤل فى نفس الوقت .. كان ذلك فى التاسعة والثلث من الصباح حيث اتخذ المندوبون أماكنهم وغصت الشرفات بالزوار ورجال السلك السياسى . وفى الشوارع المؤدية خارج المؤتمر كانت الحراسة شديدة وكانت كثير من الدول المشتركة تعرض منتجاتها الصناعية .. ربما مر فلاح من اندونيسيا فراى محراثا ميكانيكيا فى احدى واجهات المحلات التجارية .. انه لايعرف أن هناك أشياء مثل هذا منذ عاش طول حياته كما عاش عديدون على ارض آسيا وافريقيا يحرثون ويلقون البذور ويأخذون الحصاد بأيديهم وبأدوات بدائية كالتى استعملها أجدادهم منذ آلاف السنين. وفى داخل قاعة المؤتمر كانت همهمة من السخط والازدراء تلعن السفاحين الذين احرقوا بمؤمراتهم الوفد الصينى.. وكان هناك بعض المندوبين قد نظموا مؤتمرات صحفية قبل عقد المؤتمر .

كان مندوب العراق ومندوب الفلبين ومندوب سيام وباكستان وبعض البلاد الاخرى التى تربطهــا بأعـداء المؤتمر أحلاف عسكرية .. كانوا فى هذه المؤتمرات قد صرحوا انهم لايوافقون على مبدأ التعايش السلمى وأنهم يعارضون المبادىء الخمس للتعايش السلمى .. ومنها عدم التدخل فى شئون دولة أخرى ، وهذا منطقى لأن هؤلاء المندوبين يستمدون سلطاتهم فى بلادهم من تدخل دول أخرى .. واعلنوا ـ حسب تعليمات هذه الدول الأخرى انهم جاءوا الى باندونج ليناقشوا الاستعمار الشيوعى . أما السيادة والسلام وارتفاع مستوى المعيشة فى بلادهم .. أما المبادىء والاهداف التى حددها البيان التمهيدى للمؤتمر فهى لاتعنيهم . وهكذا فضحت العساكر الخشبية قبل أن تدخل الى المؤتمر خدعة حصان طروادة .. وكانوا يروحون ويجيئون فى عجلة ويترددون على مكتب المستر كليبتين بون عضو الكونجرس الأمريكى وصاحب النشاط المتزايد فى اروقة المؤتمر ومعه حشد ضخم من المراسلين الأمريكيين كانوا كلهم يثيرون أن هذا المؤتمر من الصفر والسود انما يجتمع ليعبر عن حقد لاحد له على الرجل الأبيض .. وكان معهم من يؤكدون هذه الدعايات .. كثيرون من الصفر والسود .. ومندوبو العراق او سيام او الفلبين بهذه المناسبة ليس فيهم رجل واحد .. ابيض ! !

وكانوا يعلنون انهم يثيرون قضية الحريات الداخلية فى بلاد العالم كله .. والكهوف المظلمة فى سجون العراق ، والشوارع المطلوة بدماء الشهداء هناك .. والمشردون والمطاردون فى تركيا والفلبين والعراق

رسيام .. والقوانين المفروضة على حرية الفكر والعقيدة والرای .. والمذابح الهمجية والفظاعة التى لم يعرفها التاريخ وعاناها الوطنيون أعداء الاحلاف العسكرية فى بغداد وانقره ومانيلا وكراتشى .. كل هذا وعديد غيره يقشعر منه البدن لايدخل فى باب الحريات الداخلية التى أصبح الجمالى المندوب العراقى من ابطالها فجاة .

وكان الجمالى قبل جلسة الافتتاح قد عقد مؤتمرات صحفية هاجم فيها مبدأ التعايش السلمى وتحدث عن القيم الروحية والدينية وحماية الحضارة .. لا من الأحلاف العسكرية أو الحرب بل مما أسماه الاستعمار الشيوعى ! ! وكما ان سادته يختبئون وراء تمثال الحرية فى نيويورك ، فقد حاول الجمالى ان يختبىء وراء آيات القرآن . حاول أن يختفى وراء محمد .. فحشد فى تصريحاته التى يدافع بها عن الحلف التركى العراقى كل ماينفع ويشفع من الآيات والأحاديث !.. انه لم يعرف بعد أنالذين يملكونه هو ، ويملكون الحلف لايملكون الله والنبى أيضا ... !

وعلى أية حال وعلى الرغم من هذهالدوامات قد افتتح المؤتمر ومواكب الفتيان والفتيات تتطلع من خارج القاعة فى أمل الى المستقبل الذى يمكن أن يصنعه المجتمعون .. وملايين وملايين من بسطاء النـاس من الذين طحنتهم سنوات الفقر ونهشت قلوبهم الأزمة .. الذين يعدهم أصحاب الأحلاف الاستعمارية للذبح .. كل هؤلاء كانوا يتطلعون فى ثقة ..ويعرفون أن الضمير والارادة المخلصة وشرف المسئولية الوطنية سيفمر داخل قاعة المؤتمر كل فحيح آخر .

* * *

وامتلأت قاعة مارديكا بالزهور ونضارة الربيع البشرى وشحنتهاحرارة الآمال التى تنبعث من سكان ٣٠ وطن ..

وافتتح الرئيس سوكارنو المؤتمر ..

واقترح الرئيس جمال عبد الناصر انتخاب سستروميد جو رئيس وفد اندونيسيا رئيسا للمؤتمر .. وايده الرئيس شواين لاى رئيس وفد الصين الشعبية .. ثم بدأت المناقشات .. بدأها رئيس وفد سيلان وعقب عليه رئيس الوفد المصرى ..

* * *

قال الرئيس سوكارنو :

« انه ليشرفنى أعظم الشرف أن ارحب بكم باسم اندونيسيا » .. ثم استطرد قائلا « ان هذا المؤتمر ينعقد باتفاق من كل دوله ، على عـداء للاستعمار والتفرقة العنصرية وفى عزمها على العمـل جميعا لكفالة امن العالم واستقراره والمسائل المعروضة انما تتصل بمستقبل الجنس البشرى بحياته أو بفنائه وعليه أن نواجهها بشجاعة وحسم .

ان الاستعمار لم ينته ولكنه اتخذ شكلا آخر له يبدو بالتحكم الاقتصادى والثقافى ويبدو فى السيطرة على شئون هذا العالم .. انالحرب تهدد الاستقلال وفيها القضاء المبرم على المدنية والجنس البشرى، فلنعش ولندع غيرنا يعيش وليكن شعار المؤتمر « لنعمل على خلق آسيا وافريقيا خلقا جديدا » ثم ختم خطابه بقوله «لنضع نصب أعيننا ولنذكر أن أكبر نعم الله هى الحياة والحرية وسيظل وضع البشرية مهينا مابقيت شعوب بأسرها او أجزاء منها غير حرة ، ولنذكر أن ارفع هدف انسانى هو تحرير الانسان مما يكبله فى أغلال الخوف والهوان والفاقة التى عاقت تقدمنا زمنا طويلا .. من أجل ذلك يجب علينا نحن الاسيوين والافريقيين أن نتحد » .

وقضى المؤتمر جلسة بعد الظهر وجلسة يوم ١٩ فى سماع كلمات رؤساء الوفود ثم انقسم الى لجان تصوغ توصيات تعلن بعد ذلك فىجمعية عامة كقرارات تعرض على المؤتمر .

وقد كانت كلمات رؤساء الوفود تعبيرا « سليما » عن مواقفهم .. واثار كل منهم فى خطابه المسائل التى تعنيه واتضحت من الخطاباتأهداف كل وفد والدور الذى يمكن أن يلعبه والروح التى جاء بها الى المؤتمر .

وكانت اللجان مجالا خصبا للمناقشات واشترط المؤتمر الاجماع فى قراراته وأن يؤلف جدول أعمال اللجان من :

١ ـ التعاون الاقتصادى .

٢ ـ التعاون الثقافى .

٣ ـ حق الانسان وتقرير المصير .

٤ ـ مسائل الشعوب التابعة .

٥ ـ التعاون والسلام العالمى .

* * *

وعلى الرغم من المصاعب التى أثيرت فى اللجان المختلفة . فقد انتهى المؤتمر الى قرارات حاسمة خيبت آمال كل الذين كانوا يأملون فى فشله ويعملون على تحطيمه من الداخل . واثيرت اعتراضات على مسألة التعايش السلمى من الذين اقبلوا ليمثلوا دور حصان طرواده وكان المؤتمر قد انتخب الرئيس جمال عبد الناصر رئيسا للجنة التعايش السلمى .

وحاول مندوب باكستان ومندوب الفلبين أن يديرا دفة المؤتمر بمساعدة ممثل العراق .

وقوبلت خطاباتهم ببرود غريب وتولى الرد عليهم الرؤساء عبدالناصر ونهرو وشواين لاى .. لم يتحدث واحد من المختبئين فى حصان طرواده عن المشاكل التى انعقد المؤتمر لبحثها. . لم يتحدثوا عن الاغلال والاستعمار

ولا عن التطور الاقتصادى الوطنى ولا عن التعايش السلمى . . وانما تحدثوا عن الحريات الداخلية وعن الاستعمار الشيوعى فى بلاد أوربية لاعلاقة لها بالمؤتمر . . ولقد اوشكوا عندما تمزقت حججهم ، أن ينسحبوا من المؤتمر عرقلة له ، ولكنهم بقوا لأن انسحابهم كما قالت احدى الصحف التى تعبر عن لسانهم كان يعنى أن تمضى آسيا وافريقيا وحدهما وتعزل امريكا وارثة الامبراطورية البريطانية . .

* * *

وامام المواقف الرائعة التى اتخذها الرؤساء عبد الناصر ونهرو وشواين لاى ويونو رئيس بورما ورئيس اندونيسيا جوجو . . وأمام الاقتراحات الايجابية التى تمثل حرصا لايقاوم على سيادة شعوبهم ويقظة اقوى من المؤامرة ، لم ينسحب احد واتفق كل اعضاء المؤتمر على الحد الادنى من القرارات وتراجع الذين اقتحموا المؤتمر داخل حصان طروادة واصبحوا فى بعض المواقف كألواح من خشب الحصان .

قال رئيس وفد مصر : « ان التعاون بين اعضاء المجموعة الآسيوية الافريقية يعتبر نقطة تحول نحو تحسين الموقف الدولى » وبعد أن تحدث عن مساوىء الاستعمار اعلن ان بقاء الاستعمار لايتفق مع العهد الجديد للعالم اذ انه تجاهل للتقدم الانسانى ومقاومة لقوانين التطور كما أنه من أسباب القلق الذى يسود العالم فى عصرنا الحاضر . وبعد أن استعرض الرئيس جمال عبد الناصر حالة التوتر التى تسود العالم وحلل أسبابها اعلن شروطا خمسة لتحقيق السلام العالمى وهى :

اولا ـ تنظيم التسلح وتحديد القوات المسلحة وتخفيضها والقضاء على الأسلحة ذات التدمير الشامل وتحويل نفقات التسلح الى رفع مستوى المعيشة للشعوب .

ثانيا ـ أن تصدر الأمم المتحدة قراراتها على اساس ميثاقها ، فلو راعت الهيئة ذلك لما وقع بشعب فلسطين ذلك الظلم الذى يعد عدوانا وحشيا اثيما على المبادىء الانسانية .

ثالثا ـ احترام الدول التزاماتها الدولية بمقتضى ميثاق الأمم المتحدة واعلان حقوق الانسان والقضاء على التفرقة العنصرية التى تعتبر اخلالا بهذه الالتزامات بل اخلالا بالعلاقات الودية بين هذه الدول .

رابعا ـ وقف أساليب الضغط السياسى التى تستخدمها الدول الكبيرة على الدول الصغيرة لتحقيق اغراضها فوقفها امر ضرورى اذا أردنا أن نضع حدا للتوتر الدولى .

خامسا ـ تصفية الاستعمار اذ أن بقاءه لا يتفق وسياسة السلم والتعاون بين الشعوب » .

والرئيس عبد الناصر يضع على رأس الشروط الخمس لتحقيق السلام العالمى تحديد ــ وهو الرجل العسكرى الذى يعرف ويلات الحرب أكثر من غيره ــ تنظيم التسلح والقضاء على الأسلحة الشاملة الابادة .. ان هــذه الصيحة الشريفة ، هى صيحة ٦٥٠ مليونا ام واب ، وقعوا باسم مستقبل أطفالهم من جميع انحاء العالم نداء مجلس السلام العالمى لتحريم انتــاج واستخدام وتجربة الاســلحة الذرية .. هى صــيحة كل شرفاء الناس الذين يريدون أن يعيشوا وان يتمتعوا بملذاتهم الصغيرة وحبهم واملهم .. هى صيحة فى وجــه الدول الكبرى أن تخفض الأســلحة وتنظم التسلح وسيجتمع باسم آمال هؤلاء الناس من كافة المذاهب والمبادىء . مجلس السلام العالمى ، ليبحث عن طريقة مع كل الرؤساء المخلصين الذين يحبون الانسانية لتنظيم التسلح ووقف السباق الجنونى بين الدول الكبرى .

والمبادىء الاربعة الباقية التى وضعها الرئيس جمال عبدالناصر كشروط لتحقيق السلام العالمى هى ايضا شروط لتحقيق العدل .. ان تراعى هيئة الأمم قراراتها على اساس ميثاقها تمهيدا لحل ماساة فلســــطين .. ان تحقيق هذا الشرط يرفع عن ضمير حضارتنا وزر البشاعة التى ارتكبت بشعب فلسطين على نحو لم يعرف التاريخ مثــله حتى فى اشد عهــوده همجية .. حتى عندما كان الانسان يلقى امام أسد جائع ليتسلى امبراطور ملول وداعرة صغيرة تبحث عن الاثارة .

اما الشرط الثــالث فهو يرفع عن ضمير حضارتنا ايضا عارا آخــر يثقلها .. اهدار حقوق الانسان والتمييز فى المعاملة على أساس اللون أو الجنس أو الدين .

أما الشرط الرابع والشرط الخامس ، فهما باب المستقبل أمام شعبنا وامام شعوب كل العــــالم .. والخيط الذى يمكن أن تختنق به الكراهية والاحقاد ، لينطلق الحب من كل قلب وتشيع الابتسامة من كل فم وتضىء فى عيون الناس الذين يحبون حياتهم ثقة بالحياة ، ويمارس الانسان أمجد وانبل ما فيه .. ان هذه الشروط الخمسة التى وضعها الرئيس جمــال عبد الناصر هى تعبير عن ارادة الوطن والأمن العالمى .

ثم مضى الرئيس جمال عبد الناصر يعلن ان مصر تقف وقفة المدافع عن الحرية والرفاهية للشعوب ، مؤيدة لمبدا تقرير المصير . كما انها تؤيد الأمم المتحدة بوصفها منظمة دولية تعمل لصيانة الأمن والسلام ، ولو أن الدول العربية قد اسفت لان هذه المنظمة لم تصدر قرارا عن احترام حقوق الانسان فيما يتعلق بشمال افريقيا وفلسطين ، وكذلك تؤيد مصر توســيع نطاق التعاون بين الدول الآسيوية الافريقية ، اذ من شان هذا التعاون أن يخفف حدة التوتر الدولى الحالى ، ويساعد على دعم السلام ونشر الرخاء والرفاهية فى العــالم .

وقال : « على أى اساس يستطيع انسان أن يستسيغ أن أقطار شمال افريقيا ، التى ظلت قرونا مستقلة ومقرا للعلم والعرفان والحضارة العربقة ، تنحط مرتبتها الى حد أن تصبح مناطق لا تتمتع بالحكم الذاتى ؟! اتتفق هذه السياسة مع السلم والتعاون بين الشعوب ... »

وختم الرئيس جمال عبد الناصر خطابه قائلا : « ليس معنى السلم مجرد انعدام الحرب .. انه يستوجب جهودا متضافرة متواصلة لتهيئة جو من الاستقرار السياسى والنمو الاقتصادى والعدالة الاجتماعية . وكلها مقومات لاغنى عنها لانشاء مجتمع عالمى سليم » .

« ان التعاون الذى اجتمعنا هنا من أجل تنميته بيننا انما يأتى بالفرص المقصود منه ، اذا آمنا جميعا بضرورة تحقيق المبادىء الأساسية الآتية :

اولا — يجب على كل دولة أن تحترم الاستقلال السياسى لكل دولة اخرى ، وأن ترعى العدالة الاقليمية فيها والا تتدخل فى شئونها .

ثانيا — لكل دولة الحق فى أن تختار ما تراه صالحا لها من النظم السياسية والاقتصادية .

ويقينى انه ما دامت هذه الاغراض والمبادىء رائدنا ، فلسوف يحقق لنا هذا المؤتمر الوصول الى اتفاق على ما يعرض فيه من مقترحات وخطوات عملية ، من شأنها ايجاد التعاون المنشود بين بلادنا ، ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا .. »

* * *

اما رئيس الوفد العراقى الدكتور فاضل الجمالى فقد تحدث طويلا عن الحضارة البشرية وعن الملاءمة بين المادة والروح والعلم والفن والدين وهاجم الاستعمار « الفرنسى فى شمال افريقيا » « وعن التمييز العنصرى فى جنوب افريقيا » ثم تحدث فى بضعة سطور عن الصهيونية ، ثم مضى الى جوهر خطابه فقرأ الصفحات الطوال عن سبب القلق والاضطراب فى العالم اليوم وهى الشيوعية .. او كما قال : وتحدث عن المسلمين فى التركستان وعن الحريات الداخلية فى كل من بولندا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا وقال « ان الاستعمار خير من الشيوعية » ونادى باسم الحضارة والثقافة دول المؤتمر ان تتدخل لقلب نظام الحكم فى كل من رومانيا وبولندا وتشيكوسلوفاكيا ولانقاذ التركستان « وهى جمهورية سوفيتية » من السيطرة الروسية . ثم قرأ الصفحات الطوال فى أهمية انضمام دول المؤتمر الى جماعة التسلح الخلقى الامريكية وطالب بما سماه نزع السلاح الأيديولوجى .

* * *

اما صديقه السيد محمد على رئيس وفد باكستان فقد تحدث طويلا عن ضرورة الاهتمام بالقيم الأخلاقية .

اما السيد روملو رئيس وفد الفيلبين ، وهو الشريك الثالث ، فقد وضع اول مسالة امام المؤتمر هى مسالة كفالة الحرية السياسية .

* * *

وتضمن خطاب السيد خالد العظم رئيس وفد سوريا ردا « شاملا » بالاشارة الى الحملات السابقة وقرر أن الدول ، كبيرها وصغيرها ، سواء أمام الشريعة الدولية وأن كل دولة مهما كان شأنها سيدة فى ارضها . . سيدة فى تقرير مصير شعبها . . سيدة فى اختيار السياسة التى تمليها عليها مصالحها الوطنية العليا وليس لأية دولة اقوى اى حق فى السيطرة عليها او التدخل فى شئونها ولنا وحدنا أن نختار وسنقاوم كل تدخل فى امورنا بجميع الوسائل التى نملكها وعلى هذا فلا حاجة لنا الى الانضمام لأحلاف عسكرية او تكتلات . واشار الى أن السلام لايتجزأ ، وانه لاسلام مع وجود الاستعمار ، وضرب أمثلة للقضايا المهددة للسلام . . قضية فلسطين التى انتزعتها اسرائيل وقضية المغرب العربى .

أما السيد فطيم زورلو رئيس وفد تركيا فقد قال ردا على كل الدعوات المخلصة وعلى كل الانتصارات التى حققتها الشعوب المنضمة للمؤتمر،«أن هناك خطرا شيوعيا على تركيا وهناك أسباب مهددة للسلام ، ادت الى اجتماع الدول المحبة للسلام فى حلف الأطلنطى ، واقرت الدول المحبة للسلام ميثاق البلقان والحلف التركى الباكستانى والحلف التركى العراقى وحلف جنوب شرقى آسيا » .

* * *

وخطب الرئيس شواين لاى رئيس الوفد الصينى بعد دفاع تركيا المجيد عن قواعد القنابل الذرية وعن كل الأحلاف العسكرية العدوانية التى عقدت تحضيرا للحرب وتدعيما للسيطرة الاجنبية على شعوب الشرق الأوسط والأدنى ، فقال شواين لاى « لم تعد آسيا وافريقيا اليوم كماكانتا بالأمس فقد أصبحت دولا كثيرة فيهما بعد سنوات من الجهاد تقررمصيرها بنفسها ، ومؤتمرنا هذا يعكس هذا التطور التاريخى الضخم ،ومع ذلك فما زالت شعوب كثيرة افريقية وآسيوية تحيا فى ربقة العبودية الاستعمارية ، وتخضع للتمييز العنصرى وتحرم من حقوق الانسان . ولان اختلفت وسائل الشعوب الآسيوية والافريقية فى كفاحها للحرية والاستقلال فان رغبتنا فى المحافظة على حريتنا واستقلالنا واحدة لا تختلف . وعلى الرغم من اختلاف الأحوال فى بلادنا فان من الضرورى أن نصفى آثار التأخر التى تركها الاستعمار ويجب علينا أن ننهض ببلادنا تلبية لرغبة شعوبنا وبدون أى تدخل أجنبى . ان دولا كثيرة فى آسيا وافريقيا قد أيدت كفاح الشعب المصرى لاستكمال سيادة قنال السويس ، وكفاح الشعب الايرانى لاسترداد الأقاليم المنقطعة منه ، وهذا دليل على أن شعوب آسيا وافريقيا تفهم شئون بعضها . وأود أن اتحدث عن النظم المختلفة ، فقد جاء الوفد الصينى الى المؤتمر من أجل الوحدة لا ليثير المنازعات . . ونحن الشيوعيون لانخفى الحقيقة ، ونعتبر النظام الاشتراكى نظاما افضل ، ولكننا لم نجىء الى هنا لنقوم بالدعاية لأنظمتنا أو مبادئنا . ان الوفد الصينى جاء الى هنا من أجل مصلحة عامة لكل الشعوب ولم نفكر قط فى أن نثير أية مسألة يمكن

أن تكون محل خلاف .. ذلك اننا لا نريد للمؤتمر ان يبحث امورا لا يتفق بالاجماع على وضع حلول لها . ولذلك فلم نحاول ان نثير مسألة الاعتراف بالصين الشعبية وحقها فى مقعدها بالأمم المتحدة ولا التوتر الذى خلفته الولايات المتحدة الأمريكية فى منطقة تايوان « فرموزا » ولا أن نثير المعاملة غير العادلة للصين .. واننا لنعترف ان اختلاف النظم بين البلاد الآسيوية لا يمنعنا من العمل بوحدتنا . اما عن حرية الدين فنحن نحترم العقائد الدينية ونرجو من اصحاب العقائد خارج الصين ان يبادلوننا هذا الاحترام . وفى الصين عشرات الملايين من المسلمين والبروتستانت والكاثوليك والبوذيين، والوفد الصينى يضم احد ائمة المسلمين ، اما موضوع الاعمال الهدامة فان المشكلة ليست كما قيل اننا نقوم بأعمال هدامة ضد حكومات دول اخرى بل ان فئة من الناس تركز القواعد الحربية حول الصين لتقوم بأعمال تخريب ضدنا . وتشان كاى تشيك ما زال يستخدم من يقوم بالتخريب ضد بلادنا . وجمهورية الصين الشعبية على استعداد لحل الجنسية المزدوجة للصينيين مع حكومات البلاد المختلفة . ولا تزال توجد على حدود الصين وبورما فلول مسلحة من اتباع كاى شيك تقوم بأعمال التخريب ضد الصين وبورما . وليس للصين اى هدف لتغيير نظم الحكم فى البلاد المجاورة بل على العكس فان الصين هى التى تقاسى من اعمال الهدم المكشوفة التى تقوم بها الولايات المتحدة الأمريكية . ونحن نرحب بزيارة كل الذين يخالفوننا فى الرأى ليشاهدوا بأنفسهم كل الحقائق . نحن نرحب بزيارة كل المندوبين الموجودين فى هذا المؤتمر فى الوقت الذى يروق لهم . ليس للستار الحديدى وجود فى الصين ، ولكن بعض الناس ينشرون سحب الدخان بيننا لكيلا يرى بعضنا بعضا .. »

* * *

وانتقل هذا الصراع الى لجان المؤتمر .. وكانت اللجنة السياسية هى مسرح أخطر المنازعات ، فقد صمم رؤساء وفود سيلان وباكستان والعراق وتركيا على اثارة امور ليست فى جدول الاعمال بهدف تحويل اتجاه المؤتمر وتصدى للرد على هذا التيار رؤساء مصر ، الهند ، بورما ، أندونيسيا ، الصين . حدث هذا فى اللجان التى تفرعت من اللجنة السياسية «لجنة التعايش السلمى» برياسة جمال عبد الناصر . كما حدث فى الاجتماع العام للجنة السياسية .

عندما عرضت مسألة الاستعمار فى اللجنة قال رئيس وفد سيلان : « يوجد نوع من الاستعمار لا يعرف عنه الحاضرون شيئا . تصوروا مثلا حال البلاد الخاضعة للسيطرة الشيوعية مثل المجر ورومانيا وبلغاريا وبولندا وتشيكوسلوفاكيا — ؟ « وسيلان قاعدة عسكرية أمريكية » واقترح مندوب تركيا ادراج المسألة فى جدول الاعمال وأيده شارل مالك . وكان شارل مالك من معارضى فكرة التعايش السلمى لأنها فكرة شيوعية لينينية وكان مصمما على مناقشة الحريات السياسية الداخلية فى كل بلاد العالم

قبل وأهم من التحدث فى التعايش السلمى . ودارت مناقشات حادة بين شواين لاى من ناحية وبين كل من مندوب تركيا وسيلان ولبنـان وانتهى الاجتماع أثناء مناقشة عنيفة بين مندوب سـيلان وشو اين لاى . وفى الجلسة التالية تكلم يونو رئيس وفد بورما فقال : ان المؤتمر يبحث النقاط المتفق عليها فى البيان التحضيرى الذى وجهت به الدعوة وتضمن برنامجا التزمته الحكومات المشتركة . وقال ان المؤتمر لا يبحث المذاهب السياسية . وطلب من الأعضاء الامتناع عن استفزاز بعضهم . واعقبه شواين لاى فقال اننا لم نأت الى هنا لمناقشة مذاهب سياسية وليس البحث فى المذاهب السياسية من بين أهداف المؤتمر . ثم أشار الى حدة مندوب سـيلان وطريقته المستفزة وقال ان وصف دول أوربا الشرقية بأنهـا مستعمرات شيوعية قول لا صحة فيه . فأهل تلك البلاد اختاروا حكوماتهم بأنفسهم فضلا عن أن من الخير احترام وجهة نظر الصين بالامتناع عن المناقشة فى موضوع كهذا فى مثل هذا المؤتمر ورجائى هو الموافقة على راى الرئيس يونو رئيس وفد بورما بالبحث فقط فيما يهمنا جميعا نحن الشعوب الآسيوية والافريقية . وعرض اقتراحا بقرار تأييد كفاح البـلاد التى لم تستكمل استقلالها فى آسيا وافريقيا ومطالبة الدول التى تملك المستعمرات فى القارتين ان تعمل على منحها الاستقلال خلال مدة معينة . واقترح تأليف لجنة لدراسة وسائل تحقيق هذا الهدف . ولكن مندوب باكستان قال مؤيدا منـدوب سيلان أن كلام زميله — فى الحلف — ليس موجها ضد الصين بل ضد الاتحاد السوفيتى ويجب مناقشة الاسـتعمار السوفيتى . غير أن خالد العظم مندوب سوريا وقف يرجو الأعضاء الا يثيروا أسبابا للخلاف ويؤيد شواين لاى ويونو فى عدم مناقشـة المذاهب السياسية . واعترض الدكتور فاضل الجمالى وزولو مندوب تركيا وقالا : ان من رأيهما أن يبحث المؤتمر الآسيوى الافريقى مسألة كفالة الحرية لجميع الشعوب وعرض مندوب تركيا مشروعا بالنيـابة عن تركيا والعراق وباكستان وايران ولبنان والفلبين وليبيـا وليبريا، وعارضت الأغلبية المشروع . فاضطر الى سحبه وقدم مشروعا آخر باسم نفس البلاد وكلا المشروعين يبدأ بالنص على الايمان بالكرامة والقيمة الانسانية وحق الشعوب فى التمتع بالحرية والاستقلال وبالتهديد بالسيطرة الاقتصـادية والسياسية والاجتماعية والذهنية والروحية والاسـتعمار المعتمد على الحركات الهدامة « البلاد التى قدمت المشروع كلها مرتبطـة بأحلاف عسكرية او بمعونة اقتصادية مشروطة او بها قواعد عسكرية اجنبية تابعة للغرب » وعندما وقف مندوب تركيا يدافع عن مشروعه الذى قدمه باسم العراق وتركيا والباكستان ولبنان وليبيا وايران . . ووقف نهرو ينتقد المشروع بشدة وينتقد ما قاله مندوب سيلان . وقال ان اثارة هذه المسألة كانت خروجا على النظام ولكنى اتحدث فيها لانها اثيرت ، لما فى ذلك من فائدة . ثم ابدى عجبه من زعم ان دول شرق أوربا خاضعة للاتحاد السوفيتى قائلا : انهـا دول مستقلة وبعضها عضو فى الامم المتحدة فكيف نعدها

مستعمرات مع أن بيننا وبينها تبادلا فى التمثيل السياسى . وقال ان هناك فى آسيا وافريقيا مناطق مستعمرة عديدة أغفلها مندوب سيلان . واستطرد قائلا : ان جرى الأمم الآسيوية وراء عجلة الدول الكبرى يعتبر مظهرا للذلة وعرض بانضمام الباكستان ومقدمى القرار بالاحلاف العسكرية الاجنبية واتهم حلف الاطلنطى بأنه السبب الاكبر فى الاستعمار.. وهنا قام الرئيس جمال عبد الناصر وقدم مشروع قرار مشترك بالتضامن مع نهرو باسم مصر والهند ، يقضى بالنص على حق تقرير المصير والتنديد بجميع انواع الاستعمار . وخرج مندوب الباكستان من الجلسة وظل يطوف فى أروقة المجلس وتبعه بعض زملائه ومروا على بعض المكاتب وتناقشوا طويلا مع بعض المبعوثين والدبلوماسيين الغربيين ومع عضو الكونجرس ... ربما للبحث عن مشروع قرار أكثر ذكاء ..

وعندما اجتمعت اللجنة السياسية لتبحث امر التعايش السلمى ، وقف مندوب تركيا يعلن أن تركيا لا تؤمن بمبدأ التعايش السلمى ، وتشكك فى قيمة المبدأ .. فسأل نهرو ايجب اذن على دول العالم أن ترتبط بالاحلاف العسكرية وأن تتعرض لاخطار القنابل الذرية ثم انتقد الاحلاف التى اشتركت فيها تركيا وانتقد الاحلاف العسكرية والغربية التى اشتركت فيها باكستان قائلا « ان من شأن تلك الاحلاف أن تؤدى الى الحرب » فاحتد محمد على رئيس وفد الباكستان يقول : ان بلاده مستقلة وذات سيادة من حقها أن تفعل ما تشاء . فرد نهرو بأن من واجب الدول الآسيوية والافريقية أن تبذل كل ما فى وسعها لتمنع وقوع الحرب وان ترفض الدخول فى أحلاف عسكرية. ثم تحدث عن الاسلحة الذرية وعرض مشروع قرار بمنع انتاج الاسلحة الذرية . وهكذا استمرت المناقشات فى اللجان . وطالبت أندونيسيا باصدار قرار بمطالبة الامم المتحدة قبول الصين ولكن المشروع استبعد .

***

وعقدت لجنة التعايش السلمى ونزع السلاح برئاسة جمال عبد الناصر وقدم مشروعا بتحقيق السلام والتعاون وتصفية الاستعمار وهو :

« ان المؤتمر الآسيوى ــ الافريقى ، وهو مدرك مدى التوتر الدولى السائد فى الوقت الحاضر ، ومهمته تنمية التعاون الدولى والوفاق بين الدول ، ومعترف برغبة شعوب العالم وحاجتها الى سلام دائم مكين ــ يعلن الشروط والمبادىء التالية باعتبارها أسسا لتنمية السلام فى المناطق الآسيوية الافريقية ، وفى السالم أجمع ولتقدم التعاون الدولى والوفاق العام .. وهى :

١ ــ انجاح الجهود التى تبذلها الامم المتحدة فى سبيل تنظيم تحديد وتخفيض جميع القوات المسلحة والاسلحة ، وكذلك فى سبيل القضاء على الاسلحة ذات التدمير الشامل .

٢ ـ تطبيق جميع أعضاء الامم المتحدة لميثاقها وروحها ، واحترام مبادئهـا .

٣ ـ الاحترام الكامل من جانب الدول لالتزاماتها الدولية .

٤ ـ انهاء سياسة القوى الكبرى ، واتخاذها الامم الصغيرة أدوات لخدمة مآربها .

٥ ـ تصفية الاستعمار الذى كان دائما مصدر النزاع وعدم الاستقرار.

٦ ـ احترام كل بلد من البلدان الاستقلال السياسى واراضى ووحـدة كل بلد آخر ، والكف عن التدخل فى الشئون الداخلية لغيرها .

٧ ـ الاعتراف بحق كل بلد فى الاختيـار الحر لنظمه السياسـية والاقتصادية . » .

* * *

وجاء فى خطاب الرئيس جمال عبد الناصر :

« ان بلادى وهى مخلصة لمبادىء ميثاق الامم المتحدة ، ايدت دائمـا جميع الجهود التى تهدف الى تنمية التعاون الدولى والوفاق العالمى وفى سبيل تلك الغاية ، لم تربط مصر نفسها بأى من الكتلتين فى الحرب الباردة ايمانا بأن مثل ذلك الارتباط يزيد التوتر بدل أن يخففه . »

« وفى سبيل تلك الغاية كذلك ، وقفت بلادى مخلصـة للدفاع عن المبادىء التى يعتبر احترامها هو السبيل الوحيد الى سلام وطيد دائم » .

« ومن أجل ذلك المقصد البناء ، وبروح التوفيق ، أقدم ملاحظاتى على الموضوع المطروح أمامنا للبحث ، وهى :

أولا ـ ان التعايش السلمى كثيرا ما يفهم على انه التعايش السلمى بين الدول الكبرى .. وهذا أمر له مايبرره ، نظرا لأن السلام العالمى يعتمد بادىء ذى بدء على الدول الكبرى ، وعلى مدى تصميمها على صيانة السلم والأمن الدوليين . ومع هذا ، وعلى الرغم من أهمية التعايش السلمى بـين الدول الكبرى فان هناك أنواعا أخرى للتعايش السلمى يجب الدعوة اليها والعمل فى سبيلها ، اذا اردنا للسلام العالمى وللتعاون الدولى أن يصبحـا حقيقة مثمرة . فيجب ان يقوم تعايش سلمى بين الدول الكبرى والدول الصغرى وتعايش سلمى بين الدول الاستعمارية والشعوب المستعمرة .

ثانيا ـ يقتضى هذا التعايش السلمى ، المتعدد الجوانب ان يتوفر لكل نوع منه شروط معينة ، لايمكن أن يصبح بدونها فعالا .

ففيما يتعلق بالتعايش السلمى بين الدول الكبرى ، عليها أن تجدد جهودها فى سبيل تسوية خلافاتها وفى سبيل اقامة سلم دائم . وهـذا يقتضيها أن تصل الى تسوية سلمية لمشاكل عديدة لاتزال معلقة ، ولاتزال تعرقل التعاون الدولى .

ومن بين هذه المشاكل ، عقدمعاهدات الصلح مع الدول المعادية السابقة وتخفيض الأسلحة ، وحظر الاسلحة الذرية ذات الدمار الواسع واحكام الاشراف عليها ، وضم عشرين دولة الى الامم المتحدة تقدمت بطلبات ولم تقبل بعد . اما التعايش السلمى بين الدول الكبرى والدول الصغرى ، فانه

يقتضي أن تضع الدول الكبرى نهاية لالاعيب سياسة القوة وأن تعترف وتحترم حق الدول الصغيرة فى اتباع سياستها الداخلية وفى حقل تحقيق التعاون الدولى ، دون أى تدخل .

وعلينا ان نهتم كذلك ، ونعنى عناية كافية ، بالتعايش السلمى بين الدول الاستعمارية والشعوب التابعة والحقيقة البينة هى أن صيانة السلام تقتضى تعاون جميع شعوب العالم ».

* * *

عود الى اللجنة السياسية :

وقد عادت اللجنة السياسية الى الاجتماع فى يوم ٢٣ ابريل لمواصلة بحث البند الخاص بالسلم العالمى والتعاون السلمى بين الدول ، ومكافحة الاستعمار . وانتهت مناقشاتها بتأليف لجنة فرعية من مصر ، والهند ، وبورما ، وباكستان ، وسيلان ، وليبيريا ، والفلبين ، وكمبوديا ، لوضع مشروع قرار خاص بالتعايش السلمى .

والقى شواين لاى رئيس وزراء الصين الشعبية ، خطابا مطولا استغرق ثلاثة أرباع الساعة تحدث فيه عن التعايش السلمى وحالة التوتر الدولى .

واعلن ان الشعب الصينى لايريد محاربة الولايات المتحدة ، وقال ان الحكومة الصينية راغبة فى الاجتماع بحكومة الولايات المتحدة للتفاوض معها لتخفيف حدة التوتر فى الشرق الأقصى بوجه عام وفى فرموزا بوجه خاص .

وقال شواين لاى أن الصين الشعبية لاتنوى التدخل فى شئون الدول الداخلية ، وانها على استعداد لاسترجاع أى صينيين قد يدخلون أى بلاد مجاورة . كما اكد أن الصين الشعبية لن تعتدى على السيادة الاقليمية لاى بلد من البلاد ، وانها تريد أن ترتبط بعلاقات الصداقة مع جميع الاقطار بما فى ذلك الولايات المتحدة واليابان ، وأنها على استعداد لقبول الجهود التى تبذل فى أية جهة للمساعدة على اقامة مثل هذه العلاقات .

واعلن انه قد دعا مندوبى تايلاند ولاوس وبورما ، وهى الدول المجاورة للصين فى الجنوب الى زيارة الصين ليروا بأنفسهم الحالة على الحدود .

وقال أن شرى نهرو أبلغه أن سير أنطونى ايدن ، رئيس وزراء بريطانيا ، يوافق على مبادىء التعايش السلمى الخمسة . والصين الشعبية على استعداد للاتفاق مع بريطانيا على أساس تلك المبادىء وهى :

اولا : احترام الاستقلال والسيادة .
ثانيا : الكف عن الاعتداء
ثالثا : تجنب التدخل فى الشئون الداخلية .
رابعا : المساواة والنفع المتبادل .
خامسا : العيش فى سلام جنبا الى جنب .

ومضى فى خطابه ، فهاجم الاحلاف العسكرية الغربية ، وحذر من مغبة الاستمرار فيها . اذ قد تجد الصين الشعبية نفسها مضطرة — عندئذ — الى التفكير فى عقد مثل هذه الاحلاف مع البلاد الصديقة للوقوف ضد أى عدوان .



الفصل الثالث

بعد ايام طويلة من العمل الدائب المستمر .. ايام عصيبة مشحونة بالتوتر واليأس والاستفزاز والحكمة والامل .. بعد ايام لن ينساها التاريخ اذيعت قرارات مؤتمر باندونج .. لتكون علامة طريق جديد الى المستقبل .

وعلى الرغم مما بذله أعداء المؤتمر من محاولات لافساده .. على الرغم من المؤامرات التى وصلت الى حد القتل .. على الرغم من محاولة تفرقة الدول العربية ، وعلى الرغم من النشاط المحموم الذى بذله العملاء فى الخطوط الخلفية .. فلم تستطع كل المحاولات وكل الدعاوى أن تمنع المجتمعين من الوصول الى اتفاق .. وحتى محاولة الفصل بين قضية السلام والحرية . لم تفلح هى الاخرى كمناورة لافشال المؤتمر .. ونفذها فى الخطوط الخلفية مزيفون كثيرون يعرفهم الناس فى مصر ، ويحاولون أن ينقذوا أنفسهم ــ بعد الاوان ــ بالحديث الطيب عن باندونج ..

اتفق المجتمعون على قرارات موحدة على الرغم من كل شيء ، والتزموا احترام هذه القرارات .

ومنذ اذيعت هذه القرارات .. اى منذ عام كامل ، لم يتم اجتماع سياسى الا وجعل باندونج دستوره ..

ففى بيان بولجانين ونهرو ، وفى بيان تيتو وعبد الناصر . وفى مؤتمر هلسنكى ، كانت راية باندونج تخفق دائما ، وكان قبس من باندونج يضيء الكلمات الطيبة ..

ذلك أن قرارات باندونج لم تكن مجرد حدث تاريخى .. أو مجرد تحول تاريخى خطير فحسب .. ولكنها الى هذا كله كانت اعلانا شريفا لارادة الذين يملكون مصير هذا العالم ..

فقد اتفق أغلب سكان العالم .. عن طريق حكوماتهم ــ هذه المرة ــ على أن يصونوا الحياة ومستقبل العالم ، وعلى أن يحققوا لانفسهم شروطا

اكثر انسانية للوجود ..

حقا .. كانت قرارات المؤتمر تعبيرا عن اتفاق حكومات دول تضم اغلبية سكان العالم على التعاون الاقتصادى فيما بينها ومع جميع دول العالم على اساس المصلحة المتبادلة واحترام السيادة القومية ..

وتضمنت هذه القرارات الاتفاق على أمور أخرى عديدة ، كان الاتفاق عليها من قبل يتعثر بمصالح الاستعمار ومناورات العملاء ، ولـكنه فى باندونج استلهم المصالح الوطنية للشعوب الآسيوية والافريقية ..

وقد تضمنت القرارات :

ــ توسيع التباد ل التجارى وتبادل المعلومات الفنية .

ــ استخدام الطاقة الذرية للاغراض السلمية .

ــ التعاون الثقافى الواسع بين البلاد المشتركة التى تعتبر مهد الاديان والحضارات العظيمة وبين كافة بلاد العالم الحديث ..

ولاحظ المؤتمر ان وجود الاستعمار يحارب الثقافة الوطنية للشعوب ويحول دون التعاون مما يعرقل تطور شخصية العرب «شمال أفريقيا الاستوائية» واستنكر المؤتمر هذا العدوان على الحقوق الاساسية للانسان فى مجال الثقافة والتعليم مما يشكل اضطهادا عنصريا تعانيه كثير من شعوب آسيا وأفريقيا .. وقرر المؤتمر وهو مخلص للتقاليد القديمة فى التسامح ، أن التعاون الثقافى الآسيوى الافريقى يجب ان ينمو فى النطاق الاوسع ومن شأن ذلك المساعدة على حماية السلام والتفاهم الدولى فضلا عن أنه يغنى الثقافات الانسانية جميعا .

ــ كفالة حق تقرير المصير واستنكار سياسة التفرقة والتمييز العنصرى الذى تقوم عليها أسس الحكم فى كثير من بلاد العالم .

ــ اعلان أن الاستعمار فى جميع مظاهره شر يجب وضع نهاية عاجلة له .

ــ تأكيد ان خضوع الشعوب للاستعمار والسيطرة والاستغلال الاجنبى انكار لحقوق الانسان الاساسية ومناقض لميثاق الامم المتحدة ومعرقل لتنمية السلم والتعاون الدولى .

ــ تأييد قضية الحرية والاستقلال لجميع الشعوب ودعوة الدول المعنية الى منح الحرية والاستقلال للشعوب المعتدى عليها .

ــ تأييد شعوب شمال افريقيا ومطالبة الحكومة الفرنسية بأن تعترف على الفور بحقوق الجزائر وتونس ومراكش .

ــ تأييد حقوق شعب فلسطين العربى والدعوة الى تطبيق قرارات الامم المتحدة والى تحقيق التسوية السلمية لمشكلة فلسطين ذلك ان التوتر القائم فى الشرق الاوسط ناشىء عن الموقف فى فلسطين .

ــ نزع السلاح وتحريم انتاج الاسلحة الذرية والهيدروجينية وتجربتها واستخدامها كضرورة لانقاذ البشرية والحضارة من هول الدمار الشامل ومطالبة جميع شعوب آسيا وافريقيا أن تنهض بواجبها أمام البشرية والحضارة بالعمل على تجنب الكارثة وتحقيق رقابة دولية فعالة على الهول الذرى والهيدروجينى .

ـ اعلان توكيد السلام والتعاون العالميين :

وفى هذا الشأن :

« بحث المؤتمر الآسيوى الافريقى ، فى عناية ، موضوع السلام والتعاون العالميين . وراقب فى اهتمام بالغ ، حالة التوتر الدولى الراهنة ، وما تنطوى عليه من خطر حرب ذرية عالمية ، ولما كان موضوع السلام وثيق الصلة بموضوع الامن الدولى ، فيجب أن تتعاون الدول كلها ، وخاصة عن طريق الامم المتحدة ، لتحقق خفض التسلح وتحريم الاسلحة الذرية باشراف رقابة دولية فعالة . وبهذا يتقدم السلام العالمى ، ويمكن ان تستخدم الطاقة الذرية فى المقاصد السلمية دون سواها . ومن شأن ذلك أن ييسر الحصول على مطالب الحياة ، وخاصة فى آسيا وافريقيا ، اذ تمس حاجتها الى التقدم الاجتماعى والى مستويات أعلى للحياة مع حرية أعظم ، فالحرية والسلام مرتبطان ، وحق تقرير المصير يجب أن يمنحا بأسرع مايستطاع لتلك الشعوب التى لاتزال غير مستقلة .

ومن الطبيعى أن يكون لجميع الامم الحق فى أن تختار ، بحرية ، نظمها السياسية والاقتصادية وطريقة حياتها ، وفقا لاغراض ومبادىء ميثاق الامم المتحدة ، وبالتحرر من الشك والخوف ، وبالثقة وحسن النية المتبادلتين ، يجب على الامم أن تمارس التسامح ، وأن تعيش معا فى سلام جيرانا صالحين يعملون لتمكين التعاون الصادق على الأسس الآتية :

١ ـ احترام حقوق الانسان الاساسية ، وأغراض ومبادىء ميثاق الامم المتحدة .

٢ ـ احترام سيادة جميع الامم وسلامة اراضيها .

٣ ـ الاعتراف بالمساواة بين جميع الاجناس ، وبين جميع الامم كبيرها وصغيرها .

٤ ـ الامتناع عن أى تدخل فى الشئون الداخلية لبلد آخر .

٥ ـ احترام حق كل أمة فى الدفاع عن نفسها انفراديا أو جماعيا ، وفقا لميثاق الامم المتحدة .

٦ ـ الامتناع عن استخدام التنظيمات الدفاعية لخدمة المصالح الذاتية لأية دولة من الدول الكبرى .

(ب) امتناع اى بلد عن الضغط على غيرها من البلاد .

٧ ـ تجنب الاعمال أو التهديدات العدوانية أو استخدام العنف ضد السلامة الاقليمية أو الاستقلال السياسى لاى بلد من البلاد .

٨ ـ تسوية جميع المنازعات الدولية بالوسائل السلمية ، مثل التفاوض أو التوفيق أو التحكيم أو التسوية القضائية ، أو اى وسيلة سلمية اخرى تختارها الاطراف المعنية وفقا لميثاق الامم المتحدة .

٩ ـ تنمية المصالح المشتركة والتعاون المتبادل .

١٠ ـ احترام العدالة والالتزامات الدولية .

ويعلن المؤتمر الآسيوى الافريقى عن ايمانه بأن التعاون الصادق ، فوق

هذه المبادىء ، يؤدى حقا الى كفالة السلام والأمن العالميين وتوطيد أركانهما ، كما أن التعاون فى الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية يؤدى الى الازدهار العام والخير الشامل » .

***

عندما أعلنت هذه القرارات استقبلتها كل القوى الشريفة فى العالم بترحاب كبير .. اما الذين يعملون من أجل تخريب المؤتمر فلم يعد فى وسعهم الا أن يذعنوا .. واذا كانت السياسة الاستعمارية تحاول دائما أن تقطع الطريق على الشعوب ، فاذا لم تفلح دست نفسها فى الزحام تحت أية راية .. اذا كانت السياسة الاستعمارية عريقة فى هذا الدور فقد بدأت بعد باندونج تلعب الدور نفسه ..

ولعل هذا يفسر لنا الكثير مما نراه فى أيامنا هذه .. فبعد أن استمرت قيادة باندونج فى طريقها المظفر ، هدأت حدة العملاء .. وبدأ بعضهم يمدح باندونج .. ولكن بشروط . !

ولا ريب أن من المفيد هنا أن نبين صدى المؤتمر فى جميع الجهات .

ونلخص عن تقرير الجامعة العربية ما يلى :

فى الدوائر العربية :

١ ـ أجمعت الدوائر العربية على التقدير الحق لما احرزته القضايا العربية جميعا من تأييد المؤتمر الآسيوى الافريقى ، سواء فى ذلك قضايا فلسطين وشمال أفريقيا والجنوب اليمنى ومناطق شبه الجزيرة العربية . واجمعت الوفود العربية لدى المؤتمر على تقرير نجاحه ، والقى رؤساءها تصريحات خلاصتها أن المؤتمر أتى برهانا على يقظة الشعوب الآسيوية والافريقية وتضامنها فى خدمة الحرية والسلام ، وأن نجاحه تجاوز تقديرات المتفائلين . فقد دل على أن أكثر من نصف سكان العالم يؤيدون قضية السلام العالمى . وأمكن للمندوبين على الرغم مما بين بلادهم من اختلافات ، أن يجدوا أسسا للاتفاق على المسائل الدولية والاقليمية . وهو فى الواقع يعد نجاحا باهرا للعرب ، فاسرائيل تجد نفسها مضطرة الى قبول قرارات الامم المتحدة والتسليم بحقوق عرب فلسطين ، وقد عرف العالم نواياها العدوانية والاستعمارية . وقضايا شمال افريقيا تأيدت ، وحقوق أهلها فى الحرية والاستقلال وتقرير المصير كسبت سندا قويا . وقضايا عدن والمحميات العربية نالت كذلك تأييد المؤتمر .

وقدم رؤساء الوفود تقارير لحكوماتهم منوهين بنتائج المؤتمر ، واستفاض حديث الصحافة والاذاعة العربية عنه ، مما يغنى عن الاسترسال فى هذا المجال .

« وكان لهذا المؤتمر دوى هائل فى اندونيسيا ، اذ اجمعت الاحزاب السياسية والجماهير الشعبية على التمسك بمبادئه ، وتأثرت ايما تأثر بما اتخذ من قرارات ، وزادت هذه الجموع الشعبية أملا فى الوصول الى

ما قررته تسع وعشرون دولة ، خدمة للسلام ، ورعاية لحقوق الانسان على أساس التعايش السلمى والتعاون الاقتصادى والثقافى .

***

آراء نهرو :

« ويشير احد البنود الى الدفاع المشترك . والمجلس يعلم اننا نعارض اى حلف عسكرى . وقد سبق ان قلت مرارا ان مثل تلك المواثيق ، المبنية على توازن القوى ومفاوضة القوى وضم الامم الى المعسكرات المتنافسة ليست فى نظرنا مما يؤدى الى اقرار السلام .. وما زلنا نؤيد هذا الراى . وتصريح باندونج يشير الى الدفاع عن النفس كما نص عليه ميثاق الامم المتحدة ـ فالمادة الحادية والخمسون من الميثاق المذكور تقرر بوضوح حق كل دولة فى الدفاع عن نفسها بمفردها أو باشتراكها مع غيرها » .

« واثار مؤتمر باندونج اهتمام العالم . فكان فى بادىء الامر موضع تندر وعدوان ثم تحول بعد ذلك الى حب استطلاع وامل .. ويسرنى أن اقول ان الموقف قد تبدل فى النهاية الى حسن النية والصداقة ، وقد بعث المؤتمر فى جلسته الاخيرة بتمنياته الى أصدقائنا فى نيوزيلندا واستراليا الذين لانضمر لهم الا الشعور بالصداقة مثلما نضمر لسائر العالم . وهذه هى رسالة المؤتمر الآسيوى الافريقى والروح الحقيقية التى تسود الامم التى نالت استقلالها حديثا . أما أولئك الذين لم ينالوا استقلالهم بعد ، وما زالوا يكافحون من أجل حريتهم ، فان مؤتمر باندونج قدم اليهم تمنياته . شدا لازرهم فى عراكهم الجرىء وكفاحهم من أجل الحرية والعدالة »

« واذا كان مغزى اجتماع باندونج أمرا عظيما وحدثا تاريخيا ، فاننا نسىء الى التاريخ اذا اعتبرنا مثل هذا المؤتمر بمثابة حدث منعزل ، وليس تطورا فى تاريخ العالم » .

***

فى الدوائر الشرقية :

نوهت جريدة برافدا . فى عددها الصادر يوم ٢٥ ابريل ، باجماع البلاد الآسيوية والافريقية وقالت ان بيان المؤتمر يمثل اهداف الشعوب الآسيوية والافريقية وامانيها فى اجتثاث جذور النظام الاستعمارى ، واقامة علاقات الجوار الطيبة ، والتعاون السلمى فى الحقل الاقتصادى والاجتماعى

***

وقدم شواين لاى تقريرا عن مؤتمر باندونج الى اللجنة التنفيذية للكونجرس الصينى جاء فيه :

ان أول عمل بارز توصل اليه اعضاء المؤتمر هو التأييد لنضال شعوب آسيا وافريقيا وخاصة لنضال تونس ومراكش والجزائر فى سبيل استقلالها

.. وقال أن الصين حكومة وشعبا تحمى هذا النضال ، وتتمنى له النجاح بالتعاون مع الدول الاخرى .

وفى الدوائر الغربية .

فى بريطانيا :

ومضت جريدة تايمز تقول : وقد نتج عن موقف الوفد الصينى راى يحسب حسابه ، يقول انه يجب اعطاء الصين فرصة البرهنة على انهامسالمة

فى فرنسا :

راوا أن الولايات المتحدة اخطات باعتقادها انه سيكون فى المؤتمر ٢٠ دولة تدافع عن النظرية الغربية . وعن النظرية الامريكية بصفة خاصة .. فالمؤتمر اوضح أن الغرب لم يجد سوى أربع دول على استعداد للدفاع الكامل عن نظرياته . كما دافعت عن الغرب بتحفظ ثلاث دول أخرى وان كان دفاعهم جميعا لم يمنعهم من الموافقة على استنكار الاستعمار . كما أنه تميز بالهجوم على الشيوعية اكثر من الدفاع الحقيقى عن الغرب صراحة .

وكتبت الفيجارو فى عددها الصادر يوم ٢١ أبريل اذ قالت : « ان فكرة العداء للغرب والرغبة فى التحرر من سيطرته كانت الرابطة الوحيدة التى جمعت بين دولة شيوعية واخرى ديموقراطية وثالثة اقطاعية ».

« ويرى ممثلو الدول فى مؤتمر باندونج أن هذا المؤتمر هو الحدث التاريخى الذى قضى قضاء مبرما على الوصاية الاوروبية فى جميع انحاء العالم ، او على الاقل اكد ارادة الشعوب للقضاء نهائيا على ماتبقى من هذه السيطرة .

« اجتمع وزراء من كافة الدول الآسيوية الافريقية بقصد تخليص القارتين من الاستعمار الغربى ، واعلان تضامنها وتمسكها بحقوقها واظهار العالم على أهدافها ».

« ورجالات آسيا وافريقيا وربما امريكا متفقون لاريب فى محاربة الاستعمار وفى الوقوف ضد النظام الفرنسى فى افريقيا الشمالية ولكنهم مختلفون فيما عدا ذلك ».

« فنهرو مثلا يود اقامة سلام فى العالم ولكنه عاجز عن تحقيق السلام فى علاقاته مع باكستان وفى حل قضية كشمير » .

« وكان للدول الممثلة فى باندونج فكرة ثابتة تجاه اسرائيل التى لم تكن ممثلة فى المؤتمر ، وفى قضية غينيا الجديدة (ايريان الغربية) التيأوجبوا عودتها لاندونيسيا بسبب موقعها الجغرافى وجنس أهلها ، على الرغم من أن دولة اندونيسيا لم تستعد بعد » .

* * *

راى وزير خارجية امريكا :

اضاف الى ذلك أن عروض شواين لاى وصلت اليه عن طريق السيد محمد على رئيس وزراء باكستان الذى كان أول من ابلغه اياها ، وانها مقترحات لها اهميتها ومرضية نوعا ما ، ولكنها فى حاجة الى دراسة وبحث

وراى مساعد وزير الخارجية الامريكية :

اشار الى أن بعض النقد قد وجه الى الولايات المتحدة فى مؤتمر باندونج فقال : « لست أخجل من هذا النقد ، فالولايات المتحدة ترحب بالنقد .. فليس هناك دولة أوفرد يمكنه أن يتمتع بحكمة وذكاء تامين شاملين فيما يتعلق بالشئون الدولية » .. ثم ذكر مساعد وزير الخارجيةالامريكية ان الطريقة الديمقراطية للوصول الى الحقائق ، هى معرفة مايدور فى أكبر عدد ممكن من الاذهان » .

* * *

اما فى مصر .. فقد نشرت فى فترة انعقاد المؤتمر وقبله وبعده هذه الكلمات فى نشرة ما .. ولاريب أن هذه الكلمات قد مرت بنا من قبل عندما تحدثنا عن راى الدوائر الصهيونية والغربية .. غير أن الذين نشروها فى مصر يختفون تحت راية أخرى .. ويتحركون تحت شعار الحرية أولا . الحرية قبل السلام ..

* * *

عندما تحركت قوى السلام فى العالم كله تؤيد باندونج وتؤيد المواقف الايجابية التى اتخذها جمال عبد الناصر .. جاء فى هذه النشرة بتاريخ ١٩٥٥/٦/٩ : مقالا تحاول فيه التشويه للموقف الايجابى . وجاء فى هذا المقال : « بعض عناصر من أنصار السلام انخدعت أو شاءت أن تنخدع بالاقوال والتصريحات التى لم تخدع احدا من جماهير الشعب واندفعوا يكتبون فى جريدة الدكتاتورية العسكرية »

* * *

وعندما كانت اسرائيل والصحف الاستعمارية تهاجم باندونج ، وحين نشر الصحفى الامريكى هارفى ب هول : « ان حكومة مصر تضلل شعبها باتباع سياسة خارجية مستقلة لاسترداد ثقته » ... بعد أن نشر هذا المصرية فى ١٠ / ٥ / ١٩٥٥ « وكان الموقف فى باندونج للاستهلاك المحلى
المصرية فى ١٠ / ٥ / ١٩٥٥ « وكان الموقف فى باندونج للاستهلاك المحلى
اكثر من أى شىء آخر » .

* * *

واستمرت هذه النشرات التى تستخفى تحت راية الحرية تردد كلمات السيد الذى يملك الدولار ومصانع الاسلحة الذرية والويسكى

الفاخر والشقراوات المدربات .. فبعد أن أذيعت صفقة الاسلحة وهاجمتها الدوائر الاستعمارية واحتجت عليها .. وصرح الرئيس جمال عبد الناصر بأن مصر لاتقبل أى تدخل فى شئونها الداخلية .. وحين كانت مصر معرضة لاخطر مؤامرة واسرائيل تهاجم الحدود صدرت هذه النشرة نفسها فى ١٩٥٥/٥/٢٥ تقول عن صفقة الاسلحة التشيكية « أن السلاح سيستخدم ضد الشعب » .

وفى هذه النشرة أيضا عطف على العدوان الاسرائيلى على الحدود .. وهجوم على الكتاب الوطنيين بالاسماء .. وهم الكتاب الذين اعلنوا موافقتهم الايجابية ووقفوا يحيون باندونج وسياستنا المستقلة ضد المؤامرات الاستعمارية .

***

وهكذا مضت هذه العفونة تحاول أن تلقى السخط وتذكيه ، وتملأ بالمرارة قلوب الشرفاء .. وتقلل من شأن حكومة تقاوم الاستعمار وتناضل ضد الاحلاف العسكرية ، وتتحرك تحت راية التعايش السلمى .. السخط على حكومة تقوم بدور وطنى باسل ، انما هو رصيد للاستعمار .. رصيد لأعداء الوطن ..

والتشكك فى حكومة تقاوم المؤامرة وعدوان اسرائيل ، هو أمر تفرضه مصالح اسرائيل !

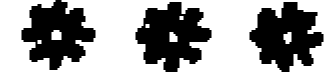
ولكن على الرغم من محاولة عزل الشعب عن الاهتمام بأمر هذا المؤتمر تنفيذا لخطة الاستعمار و الصهيونية التى فضحها نهرو ..

على الرغم من كل هذا ، فقد خاضت بعض العناصر الوطنية اعنف معركة ضد خطة الاستعمار الصهيونية ، وضد هواة السياسة.. ومن اجل الشرفاء الذين خدعتهم المؤامرة ، أو الذين أوشكوا أن يتورطوا تحت ضغط الخديعة .. وتعرضت هذه العناصر فى معركة السلام والسيادة لاقذر انواع الاتهامات .. للانياب السامة تنهشها ..

تعرضت للنباح ، ولكل ما يمكن أن يعلق بالذين يقاومون التيار ، ويتحملون مسئولية توضيح الطريق امام الشعب حين تتحالف ظروف كثيرة ، وتصبح الكلمة الزائفة اكثر بريقا من الكلمة الصادقة ، وتمضى الخديعة فى الاسواق مزهوة رائقة تشوق بعض الاهواء بعطرها الرخيص !

اندفع بعض الوطنيين فى ظروف مرهقة يوضحون لشعبنا الطريق ، ويصدون عنه الخطر ، ويتعرضون فى سبيل ذلك لاقسى انواع الاتهامات وحشية وهمجية وخسة

اندفع الذين يحبون السلام والحياة والثقافة والوطن يواجهون نشاط المتعصبين الذين جمدت رءوسهم وقلوبهم مما افرغ فيها المزيفون ... ويواجهون اعداء لا ضمير لهم ولا قيم ... ويواجهون مرتزقة يرددون ما تلقنوه ... ويواجهون شرفاء من أعز أبناء الوطن على الوطن أمضهم السأم ، واصبح من العسير عليهم أن يعرفوا الحكمة من الجنون ... ويواجهون بسطاء كثيرين طيبى القلب تعودوا على العزلة ... ويواجهون كل ماأفسده المزيفون من قلوب الناس وفى هذا الجو نشرت الجمهورية هذا المقال :





يكتب اليك من هنا يا باندونج مصرى من انصار السلام ... وهو يكتب اليك من هنا لانه لم ترتفع من مكان آخر صيحة تأييد ، بأعلى مما ارتفعت من هنا ... ولان الذين أزعجهم ان تلتقى مصر والهند والصين لحماية الحياة والحضارة ، انما يحاولون أن يشوهوا جلال هذا الموقف فى كل مكان ...

وليس لهم هنا مكان !

أنا هنا لان هذا المكان هو الذى هاجم الاحلاف العسكرية الاجنبية بلا انقطاع ، ودافع عن السلام فى ثبات ، ووافق على نشر بيان للمثقفين المصريين ضد الاحلاف ، بينما أجفل آخرون وترددوا فى التوقيع

أنا هنا يا باندونج ادافع حتى الموت عن حق الانسان فى الحياة والثقافة والحب ...

أنا هنا لاننا نحن المدافعين عن السلام نسلك دائما طريق السـلام وحده ... غير حافلين بأشواك الطريق .

أنا أكتب اليك من هنا يا باندونج لان هذا المكان لا يرفض برنامج انصار السلام العالمى . ولانه يقبل نشر كتاباتى دفاعا عن الثقافة الوطنية ، وحياة أطفالنا ، وحقنا فى التبادل التجارى والاقتصادى والثقافة الحرة

* * *

ملاحظة : كان الرسام « حسن فؤاد » مثل الشرقاوى يقف مع (باندونج) بريشته ــ والصورة التى ننشرها هى احدى الرسوم التى انتجها فى فترة انعقاد المؤتمر .

مع جميع بلاد العالم على قدم المساواة ... وحسبي بهذا ميدانا نلتقي فيـه .

انا اقف هنا جنديا يدافع عن شيء يعرفه ، ويملكه .

وانا هنا يا باندونج لان الحماس للمؤتمر كان هنا .. وفضح المتآمرين عليه كان هنا ...

ومن أجل ذلك يا باندونج حار فى أمرك الذين لا هم هناك ولا هم هنا ... ولا يستطيعوا أن يكونوا هنا ولا هناك .

ولكن اليس من واجب الذين يريدون ان يحتفظوا بأنفسهم احياء .. اليس من واجب كل الذين يخافون من انفجار القنبلة الذرية ... اليس من واجبهم ان يجعلوا من قرارات المؤتمر عملا متصلا يحمى لهم حياتهم ويوفر لهم مستقبلا أكثر بهجة ؟!

ليت الشرفاء والبسطاء اتبعوا احساسهم وحده ..!

اذن لادركوا المعجزة التى تمت فيك يا باندونج ... ولادركوا ان الذين يعزلونهم عن الاحتفال بهذه القرارات وحمايتها . انما هم اعداء الحياة ... أعداء مؤتمرك يا باندونج ... أعداء تحرير الانسان !

أنا اعرف الكثيرين من هؤلاء البسطاء يا باندونج ... أعرفهم باسمائهم ... وأعرفهم بوجوههم التى اجهلها وحياتهم وانفعالاتهم المتشابهة !..

ان الاستاذ عزيز ينظر فى الصحف كل صباح ويلقيها بسرعة ...

انه موظف محترم أصبح الآن فى الدرجة الرابعة ... ولكنه يشعر بضيق مبهم ... فحياته تبدأ فى كل يوم وتنتهى كالمعتاد وتتكرر فيها نفس الاشياء الى مالا نهاية من المرات وبنفس الطريقة ... وزوجته الجميلة الشابة تقص شعرها كمارلين مونرو ... ولكنها تسير فى الطريق بكل ملابسها الداخلية ! وهى تلبس ثوبا أحمر يبرز جمال صدرها ، وتهتز وهى ماشية ، ومع ذلك فهى فاضلة ... أو فى الحقيقة انه لم يفكر فى هذا الامر رغم تلذذه بقراءة الفضائح التى تنشرها الصحف بلا توقف .

وزوجته نفسها تشعر بحيرة غامضة ... وهى دائما تحلم بثوب جديد من قماش فاخر .

غير أن هـذا هو ليس ما يثقل نفس الاستاذ عزيز ... انه يفكر فى أن يشترى بدلة جديدة تليق به ويحاول ان يجد طريقة ليقلع عن التدخين ... ثم ... هناك أطفاله « ماجدة » و « حازم » و « عماد » و « منى » انهم فى حاجة الى لعب ...

انه لا يعرف كيف يشترى لهم ما يلزم من الملابس ... حتى الكرافتة التى يتمنى ان يلبسها هو لا يستطيع أن يغامر بشرائها !..

ويجلس الواحد منهم احيانا على المقهى مع أصدقاء من نفس النوع فيتحدث كل واحد منهم عن ايامه القديمة وعن الذين سبقوه ذات مرة

فى الترقية وظلوا يسبقونه بلا سبب .. وعن الذين تخلفوا ..
لقد كان الاستاذ عزيز منذ خمسة أعوام يتمنى أن يحدث شيء ما .. اى شيء .. يهز حياته .. وهو الآن يعانى نفس الرغبة ..

* * *

وهذا ما يشعر به ايضا الاستاذ عبد الله المدرس ... والدكتور حسن ومحمد عبد الشافى الموظف الصغير الذى لم يتزوج بعد ... وآخرون ..
ولقد يسمع الواحد منهم السلسلة البوليسية التى تملأه رعبا من محطة الاذاعة ثم يسمع معها اخبار مؤتمر باندونج ... ويأسى قليلا لكارثة طائرة الوفد الصينى ويسمع بقية اخبار المؤتمر ... ويتلفت بعض الوقت الى ما يذاع ، ثم يعود ليحكم بالمجهول متمنيا أن يحدث شيء يهز حياته ...

ويقرأ الواحد منهم رسالة ذات يوم عن أزمة فى المؤتمر ... وعن مشاجرة ... فيهز راسه ولا يهتم بقراءة التفاصيل !

وذات يوم يسمع القرارات يذيعها الراديو فيكتفى بها .. ثم تقع عيناه على رسالة خفيفة من باندونج فى مجلة او صحيفة مسلية فاذا به يشعر أن هذا المؤتمر مكان يجتمع فيه سياسيون كبار يخطبون ويناضلون ثم يكتبون كلاما اسمه قرارات ... ثم ينفضون !

هذا ما توحى به الصحيفة التى يقرأها ... وانه ليشعر برضاه عن نفسه وهو يقرأ ما تنشره تلك الصحيفة أو المجلة ... فالمؤتمر كما توقع هو تماما فى خفة سريعة ... ازمات ومشاجرات ثم كلمات ... اسمها قرارات .!

* * *

اما « ناهد » الطالبة ، فهى تفكر ان كانت قرارات باندونج ستأتى فى الامتحان ... ثم تشرد فى المجهول كالاخريات !

ولكن عبد المجيد الموظف بالسكرتارية باحدى الوزارات يقرأ أخبار المؤتمر بشغف ودهشة ... ولا يعرف أيفرح أم ... لا يهتم !
انه يعانى مأساة ابناء أخيه الذين يطعمهم لان اباهم لم يعد معهم ...
وعصام الطالب الجامعى فى مأزق هو الآخر : نظام الامتحانات يرهقه ، وهو لا يحب شيئا مما يجرى حوله . وفى ذكرياته آلام كثيرة .. اتراه .. ولكن .. ماذا ؟.. انه لا يعرف بعد !

* * *

وآخرون يا باندونج ... آخرون ولا هم هنا ...
وهم جميعا من الشرفاء يا باندونج ...
هم جميعا من البسطاء الشرفاء الذين لا يريدون أن يظلل سماءهم

سحاب ذرى ولا يريدون أن يصبحوا ذات يوم ليجدوا كل ما يحبونه قد انهار واستحال الى حطام يختلط بلحوم البشر !.

اغفرى لهذا النفر من النســاء والرجال ، ولئن روعهم هذا الحديث فأساءوا الى ... فاغفروا لهم مرة أخرى فهم شرفاء !

لقد تعودوا على أنفسهم يا باندونج ... ألفوا الحيرة والقلق والشك ... والفت كل نفس اثقالها واحمالها . والفوا الشرود مع المجهول !..

اليس من المروع اذن أن نهتك عليهم هذا الصمت ، فاذا هم مطالبون بأن يمجدوا الحياة وشرف الكلمة ... وبأن يجعلوا من الكلمة عملا ... وفى البدء كانت الكلمة ... ومع الكلمة كان العمل !

اغفرى لهم يا باندونج فهم فى طيبتهم الصامتةالحائرة المعتزلة يتعذبون لانهم يعيشـــون خارج التاريخ على هامش الاحداث ولكنهم مع ذلك لم يتحركوا بعد ليصنعوا التاريخ ويسيطروا على الاحداث ...

ومن هنا تنبع مأساتهم الحزينة ... مأساة الاستاذ عزيز وزوجته والاخريات والآخرين من أمثالهم !.. من هذا الصراع بين ما يريدون وما يفعلون تنبع مأساتهم الممضة .. تنبع منحيث تزدهر الرغبة الصادقة ، فى عالم أفضل ، وفى الغنى والحب والمتاع والسلام والكبرياء .. ومن حيث يفوح احساس كئيب بالضياع والعجز ... هذا العجز الذى لا تفرضه قوى خارجة عنا بقدر ما يخلقه فينا شعور خبيث بالهزيمة والانكسار .. وبأننا لا نستطيع ..

* * *

ومنهم شرفاء آخرون يا باندونج ، يهتمون بالحياة فيقفون علىجانبى الطريق الذى تندفع فيه ينظرون اليها بعيون نصف مغمضــة وينقدون دوران الشمس والقمر ، ويصفقون لاختلاف الليل والنهار . ويعجبون لتداول الايام بين الناس ... ويتحدثون فى المجهول عن أبطال اسطوريين يشبعون سلطان الوهم على قلوبهم ... دون أن يتحركوا هم أنفســهم ليقوموا بعمل واحد باسل ... ويظلون مع ذلك شرفاء يا باندونج !

* * *

اغفرى لهم يا باندونج فحيث لا ينطلق اللسان تنطلق الخديعة ويضيع الصدق فى ضجة طبول النفاق ، ويفقد بعض الشرفاء شجاعتهم وصدقهم لكيلا يتهموا بانهم يقرعوا الطبول ، وتتخذ الحياة بين بسطاء الناس قيما غريبة .. وترتفع أصوات ذات رنين تشوه العمل وتمجد اعتزال الحياة .

وفى هذا الجو المشحون باضطراب القيم يســود ســلاطين الظلام ، ويلبس المتبذلون أكاليل البطولة !

اغفرى لهم يا باندونج ... اغفرى لكل هؤلاء الشرفاء فهم جنود فى معركة السلام والحرية

انهم لم يعرفوا بعد انهم يستطيعون ان يحيلوا احلامهم الى واقع لو انهم حافظوا على السلام العالمى ، وشاركوا فى صيانته وتدعيمه

انهم لم يعرفوا بعد أن مقاومة الاحلاف العسكرية الاجنبية هى اقدس الواجبات واننا لو ظللنا بمنجاة عنها لبنينا حياة أجمل مما يحلمون به .
انهم لم يعرفوا بعد أن استقلالنا الثقافى والاقتصادى ضرورة تاريخية يجب أن يصنعوها بأنفسهم لتكون لهم المسرة التى يريدون ... ولتحدث الهزة التى يتمنونها لتنشل حياتهم من الهمود والرتابة واليأس والعجز .. ولترتدى النساء مما يردن ويلعب الاطفال بما تشتهى لهم الآباء . ويشعر الآباء بالغنى الذى يخالجه الزهو الطيب

انهم جميعا يريدون أن يعيشوا حياة افضل وان يحصلوا على ما يحلمون به ...

ومنهم آباء وامهات يريدون ان يسعدوا الازواج والاطفال ويحبون أن يعيشوا فى المسرة التى تضىء بها النفس ، وفى سعادة تأمل البريق الحبيب فى عين طفل وهو يستقبل الهدية التى حملها اليه أبواه !
كلهم يريد أن يتحرك فى اطمئنان ، ويلقى من يحب ، ويمتلىء جيبه بالمال ، وتمتلىء حياته بالامل ...

كلهم يريد أن يرى الافلام التى تهز نفسه ويسمع الاغنية التى تثير اعماقه ويقرأ الكتاب الذى يهديه ، ويتحرك بلا متاعب ، ويعمل فى بهجة ويأكل الطعام ويمشى فى الاسواق ... بلا أحزان .

كلهم كذلك يا باندونج ... وكلهم شرفاء

ولكن أعداء الحياة يعزلونهم عن الاهتمام بالحياة يا باندونج لكى تخلو السماء من السبحات الرائعة وتزحمها القاذفات والذاريات والناطحات !.
فاغفرى يا باندونج لهؤلاء الشرفاء البسطاء الذين يمضون دون أن يشعروا فى الطريق الذى اختاره لهم أعداؤك وأعداؤهم ...

انهم لا يعرفون ان الذين خلقوا لهم حياة تعسة يحرصون على أن تسود اللامبالاه !

اغفرى لهم فهم لا يعرفون ...

اغفرى لهذا النفر من النساء والرجال فهم فى صمتهم الطيب يعانون من القلق والحيرة ويمزقهم التعارض الحاد بين ما يعيشون فيه وما يسمعون به ... وفخاخ الازمة تتنازعهم بأنيابها من كل سبيل : الاحساس الصادق يقودهم الى الموقف الصحيح ، فيمسكهم عنه الضيق ويمنعهم منه الشك ، ويقعد بهم كل ما يثقل النفوس فى هذا الجزء من أرض البشر ...

***

وعندما يدركون ان كسب السلام العالمى هو اضخم المعارك .. وعندما يعرفون يا باندونج انهم مطالبون بالنزول عن عليائهم ليتسخوا بغبار المعركة ...

عندما يعرفون كل هذا ... ويعرفون جلال المعانى التى نبض بها مؤتمرك يا باندونج فسيضعون ايديهم فى يد الشعب ، وهذا خير من الطريق الى المجهول !

ولشد ما نخشى على هؤلاء الشرفاء يا باندونج حين يهمون بالاندلاع مع الحياة والناس لينسجوا خيوط المستقبل وليمسكوا بأيديهم زمام المصير !

لشد ما نخشى عليهم من اللفحات المثقلة بالتراب والصهد ، فهى لا ترهق الحلوق والابصار فحسب وانما ترهق القلوب التى فى الصدور .

ولشد ما نخشى عليهم من الذين يريدون ان يعزلوهم عن معركة بناء السلام والمستقبل ويشوهون قراراتك يا باندونج ويحيلون حقائقها الحية المتآلفة الى كلمات باردة !

والذين يقومون بهذا الدور يا باندونج يحتالون دائما لكى يشوهوا مافى الحياة من حق وصدق وجمال وخير ... ولكى يسدوا كل الممكنات امام حياة أفضل .

أنت تعرفيهم يا باندونج وتعانى منهم كما تعانى كل بلد فى آسيا وافريقيا ...

وهؤلاء يا باندونج لا غفران لهم ! انهم ينظرون الى الحياة فى كراهية وضيق لطول ما مارسوا صناعة الموت والاتجار فى آلات الدمار ... ولهم جهازهم الضخم من السماسرة والعملاء والباعة المتجولين فى كل انحاء الارض .

انهم يحاولون ان يقاوموا اندفاع التطور ويعيشون بغريزة الصيد فى الوحش لا بعاطفة الحب فى الانسان !

انهم لا يعرفون الحب ابدا .. وانهم ليزدهرون فى الضغينة والمؤامرة ... وسلام على الضحايا الذين سقطوا وهم فى الطريق اليك يا باندونج .

والصياد يابندونج يطلق كلاب الصيد !

وفى مؤتمرك حاولت أن تغمر فى نباحها المسعور انغام الكلمة الجليلة .

حاولت أن تفتك بحمامات السلام على ارضك يا باندونج ... ولكن السواعد الفتية الرائعة ردتها ، واتسعت سماؤك للحمامات الجميلة البيضاء !

وتركت كلاب الصيد تلهث وهى تلعق جراحها ...

وما زالت كلاب الصيد تلهث فى كل مكان من الارض ترنوا اليه دولة الصياد .

لقد راعها أن تلتقى الصين الشعبية بمصر . فمضت تسوق أخبار الاجتماعات فى غيظ مكتوم .

وانا أعرف كلاب الصيد ...

نحن نعرفها فى مصر كما تعرفينها يا باندونج !.

سيقول فريق منهم فى اشفاق مصطنع وفى جزع صادق بالغ : « ما هذا الكلام !. لقد تسرب أنصار السلام الى الجمهورية ... وانصار السلام شيوعيون ! » سيقولون هذا وغير هذا مما يكيد أعداء السلام السلام !

ان هذه الالسنة هى ، نفس الالسنة التى كانت تكيد للمؤتمر وستظل تكيد لقراراته ... وقد كادت تلهث بأن المؤتمر « شيوعى » حتى قررت مصر أن تشترك فيه . فخرست وسكت المرجفون فى المدينة ، وانطلق المنافقون ، يعفرون جباههم فى الارض !

***

انا أعرف كلاب الصيد ... نحن نعرفها فى مصر كما تعرفينها يا باندونج .

وسيمضى فريق منهم من سماسرة أعداء السلام يقولون كلاما آخر باسم الحرية ..

انهم فريق تعس معذب ينفق اياما باهرة من البطالة والفنى واليأس والغزل ، ويتسكع على مقاهى القاهرة وحاناتها : فى الراس تحليلات سياسية مدفونة وفى الجيب ثمن الويسكى ، وفى الاعماق كراهية واحقاد وزفرات !.

انهم لتعساء هذه العشرات الضالة من الضائعين : الفراغ يمزق حياتهم والمخدرات تلتهم منهم الاعصاب ...

وهم يمضون معا كالسمكات المتوحشة يخفون فضائحهم الخلقية فى زعيق سياسى وفى انهيارهم المروع يلتقطون من خرائب نفوسهم أحجارا يقذفونك بها يا باندونج ويخيفون بها الشرفاء الذين يريدون أن يعملوا فى سبيل السلام ويحصبون بها المدافعين عن السلام العالمى ... ولكن ...

مهما تهاجمك هذه المسوخ الكريهة الشائبة ... ومهما تحشد فى هجومها على حماة السلام كل ما تملك من جبن واحقاد وانهيار . فهى لن تقوى على اخفاء الحقيقة التى اعلنها الالتقاء المجيد على ارضك يا باندونج ...

ولن تستطيع أن تعزل معركة حماية قراراتك ، واحدا من الشرفاء الشجعان ...

لتقل ما تريد على ضباب المخدرات ورنين الكئوس صدى فضائحها..
لتقل ما يمليه عليها شبح ضميرها كاحتجاج على انهيارها الخاص !..
ولتملأ الدنيا بالنباح !..

ويظل مؤتمرك يا باندونج رمزا ضـخما لما يمكن ان تحققه ارادات الشعوب .
لن يبلغ منه الناقمون شيئا ... ذلك ان كل ما يمكن ان يصنعوه لاخفاء آثار المؤتمر لن يعدو باب حانة من تلك الحانات التى يباع فيهابثمن معلوم صنف معين من النسـاء ... والرجال !..
لقد طاردت الكلاب الضالة والنسـاء الساقطات من ارضك يا باندونج اثناء المؤتمر ... ولكن ما الحيلة فى كلاب الصيد ... والرجال الذين انطلقوا بعد المؤتمر !..
ليأخذوا ثمن ما يقومون به من خدمات وما يلقون به من كلام ... ليأخذوا اموالا يستهلكها الخمر والمخدرات او بناء يرتفع تسعة طبقات او عشرات الملايين من الدولارات ... فلن يستطيعوا ان يمنعوا شعوبنا يا باندونج من معركة الدفاع عن الحياة ... ولن يأخـذوا منها ما هى موشكة على ان تمسكه بيدها !..
وان جبهة فولاذية عريضة من هؤلاء المخلصين ، ومن الفلاحين ، والتجار الذين يريدون ان يكسبوا وتتزايد مكاسبهم ... ان جبهة عريضة من أصحاب الاعمال الذين لم يرتبطوا بتجار الموت من الشرفاء الذين ينشدون المساواة فى المزايا ، وتبادل المنافع ، ومن العمال ، وبسطاء الناس ، ومن فئات الشعب العامل ...
ان جبهة ضخمة من هؤلاء جميعا من كل الجنود الذين يدافعون عن السلام واستقلال الوطن ...
ان هذه الجبهة هى التى تستطيع ان تصون قراراتك وتحمى الاتفاقات التى تمت فى ارضك يا باندونج ، وتعصم هذه القرارات والاتفاقات من المؤامرة أو النسيان ...

* * *

وفى قريتى كان الفلاحون ينظرون الى حقول القطن الخضراء التى لم ترتفع بعد عن الارض ويشعرون أن قدرا غاشما فرض عليهم التعاسة ..
وعندما يقول الفلاحون هذا الكلام ، فحياتنا الاقتصادية كلها تتعرض للمؤامرات ولعله من اجل ذلك غمرت الابتسامة المشرقة تلك الوجـوه العذبة السمراء عندما اذاع الراديو على اهل القرية ذات مساء أن الوفد المصرى والوفد الصينى فى باندونج اتفقا على صفقة كبيرة من القطن وعلى التبادل التجارى الواسع .
وابتسم فلاح عجوز جندته السلطة البريطانية فى حرب سنة ١٩١٤ وقال من أجل هـذا قتلوا الوفد الصينى وحاولوا ان يحرقوا الرجل الصينى ...!
أجل ... اجل من اجل هذا ... ولكى يأخذوا ابناءك الى حرب لن يعودوا منها ويتركوك فى شيخوختك تموت على مهل بالاشعاع الذرى !.
من اجل هذا ... ولكى يصبح كل اهلك واصدقائك والذين انفرست

اقدامك فى الوحل معهم على أرض الشام ايام الحرب الاولى ، عبيدا فى مزرعة ... لا يساوى العبد فيها ثمن السوط الذى يضرب به !..

نعم ... من أجل هذا ... ولكى يظل شبابنا فى القاهرة يشاهدون أفلاما تمجد الحرب كمغامرة جنسية يظفرون خلالها بالشقراوات العاريات ونساء الجزائر الحارة !..

من أجل هذا حاولوا وسيحاولون الكثير !..

لـكى تصـبح ثقافتنا فى خدمة الاعداد للحرب ، لـكى تنطفىء الكلمة المضيئة لتحل مكانها مغامرات طرزان ومذكرات بائعات الهوى ، وأدب الانحلال واليأس !.

أجل ... من أجل هذا ايها العجوز الطيب القلب الصادق النظر ...

من أجل هذا .... ولكى يصبح عنائك تحت الشمس باطلا ، وقبض الريح !.

ولكى يعود اليك العمال الذين تركوك الى المدينة ... يعودون حمقى من البطالة مجانين من الفيظ .

ولكى تتدفق الاموال من عرق ابنائك الى ماوراء البحر وتتراكم عظامك امام كلاب الصيد !.

غير أن هذا لن يكون ... مهما يحاولوا .

ومؤتمرك يا باندونج يفرض لاول مرة ارادة الحياة والسلام والحرية باسم المعذبين

والمحيط البشرى من شعوب آسيا وافريقيا ... هذا العباب الضخم المشحون بطاقة الذرة يجرف فى انطلاقه كل السدود !

والجبهة الهائلة من شعوبنا تتحدى الخطر ، وتصنع تاريخها يوما بعد يوم على الرغم من كل شىء ... وسلام على سوريا الباسلة التى تواجه العاصفة بكل نبل الكفاح مستندة الى حائط حصين من تأييد الشعوب !.

لن يكون هـــذا الذى يريده أعدائك يا باندونج ... ولن يسمح به الفلاحون فى قرانا المصرية العزيزة .

انهم فى قريتى يسمعون اسمك لاول مرة . ولا يعرفون اين انت من العالم ... ففى قريتى لم يتح للرجال ولا النساء أن يعرفوا أين يقع هذا البلد أو ذاك من الكرة الارضية ... وهم فى قريتى يفكرون أن هـــذه الارض المنبسطة التى يمشون عليها جزء من كرة ... ومؤذن القرية يلعن اطفال المدارس الذين يقولون امامه هذا ، ويلعن آباءهم ... ويتحسر على ايام مجده فى الكتاتيب !.

وعلى الرغم من هذا كله يا باندونج فهم فى قريتى يحبونك .. ويقولون ان بركتك لحقت القطن هذه السنة !.

لولاك ما غنى عوض المواويل الخضراء ، فقد قال حسونة لابيه ان القطن انتشل وان الولد يستطيع ان يتزوج عندما يخلع الذرة .

وعوض مثل مهران ومهران كعبد الرازق .. والحاج عمر كصالح .. وصالح كالآخرين

وزينب الصغيرة التى كانت تحمل هم الزواج . تبتسم لاول مرة منذ قرا خطيبها محمود ابن دياب فاتحتها على أبيها .

ولواحظ تريد أن تطمئن على أن ابنها فى المدينة لن يعود عاطلا طريدا من المصنع .

ان هذه النفوس الجميلة بكل أحلامها الصغيرة لم تستطع بعد ان تنطق اسمك يا باندونج ... وانها لتنطق اسمك محرفا بطريقتها الخاصة ولكنها تعرف أن لقاء تم فى ارضك ... وأن هذا اللقاء يحمل أملا كبيرا الى كل القلوب .

ان هؤلاء البسطاء الذين لم يعرفوا الراحة ابدا .. يريدون ان يحرثوا الارض فى أمن ... وأن يحصدوا فى اطمئنان وأن يبيعوا محصولهم بسعر طيب آخر العام .

انهم لا يعرفون الفلسفة ولا الكتاب ولا الحكمة ... ولكنهم يعرفون الخير والشر والظلم والعدل .

وعندما يزحف الظلم عليهم ثقيلا كريها يصبرون لبعض الوقت حتى ليحسبهم الانســـــان موتى ... ثم اذا بهم فجأة وعلى غير توقع يهبون ويتدافعون على ظالمهم ... واذا بسواعدهم المكدودة تفرض ارادة العدل !

أنا أعرفهم يا باندونج ... ولقد تعلمت منهم مع أول الكلمات وأنا فى قريتى كلمة الاستقلال ... والوطن .

أنا أعرفهم يا باندونج ... ولقد ثبت فى ذهنى مع أول ما ثبت من الصور ... مواكب انتفاضاتهم فى سبيل العدل !

وانت تعرفين هذه المواكب يا باندونج ... مواكب المعذبين التى انطلقت عبر الكفاح من جيل الى جيل تردد لعنة الاله الجديد الذى هبط عليها من ناطحا تالسحاب أو من وراء البحار !.

هذه المواكب من الفلاحين لا تعرف السياسة يا باندونج ... ولكنها تصنعها ...

والفلاحات يخفين الوجوه فى الاكمام خجلا من ملابس الشقراء ذات الاكتاف العارية ...

وفى قرانا ليس كل الرجال يفضلون الشقراوات ..!

انهم يفضلون العمل المجزى ...

يفضلون أن ينعموا بمسراتهم الساذجة وان يعلموا ابناءهم وأن ينقذوا اجسادهم من الآلام التى يحملها اليها ماء النيل مع ما يحمل من الخصوبة والطمى ...

انهم يحبـــون أن يقيموا افراحهم ولياليهم ومهرجاناتهم بطريقتهم الخاصــة ...

ان الفلاح فى قرانا يريد أن يضحك كما يريد هو ...
انه يريد أن يضحك من قلبه .. لا من الفم .. ويبكى من جراحاته..
من أجل ذلك يا باندونج فقد بارك الفلاحون الاتفاق الذى تم فى أرضك لتحرير مصيرهم من السيطرة الاجنبية وسيحمون هذا الاتفاق ..

والعامل فى المدينة يدرك ان تنفيذ اتفاقات المبادلات التجارية الحرة سيخلق مجالات جديدة للعمل ويساهم فى رفع الاجور . وتوفير احتياجاته ويقدم عملا للذين لا يجدون طعامهم بين أنياب الآلة ...

سيؤدى هذا التحرر الى انشاء مصانع جديدة والى ملء أســواقنا بالبضائع والمنتجات ... فيجد الموظفون والمثقفون كثيرا من مطالب الحياة بثمن يطيقونه ... وتزدهر المتاجر وتمتلىء الجيوب ... جيوب العمال وأصحاب المصانع وأصحاب المتاجر والفلاحين والذين يشاركون فى انتاج وتداول كل مواد التبادل التجارى ... ويستريح أصحاب الدخل الثابت لوفرة المنتجات واعتدال الاسعار ، ويهدأ مشتاق ويرتاح متعب ...

ومن أجل هذا جزع اليقظون من هؤلاء جميعا عندما قرأوا فى احدى الصحف أخبارا عن المؤتمر هى عكس ما سمعوه من الاذاعة فى المساء ...
ولكن انباء الاذاعة أعادت الطمأنينة الى كل القلوب ...

ونجح مؤتمرك يا باندونج على الرغم من كل شىء ... فلتنهش كلاب الصيد اذن لحم بعضها ولتبحث فى احشائها ، أو فى العفونة عما تقتات به ،
ويظل مؤتمرك يا باندونج تعبيرا عن انتصار الحياة ..!

لقد اعتبرت قراراته الاســـتعمار خطرا على الســـلام العالمى ...
واستنكرت العدوان الوحشى على عرب فلسطين وطالبت باحترام قرارات الامم المتحدة .

وقرر مؤتمرك حل المشاكل الدولية عن طريق المفاوضات ، وتحريم استخدام الطاقة الذرية الا للاغراض السلمية ...

وطالب بعضوية هيئة الامم للدول ذات السيادة على أرضها ...

وقرر الغاء التمييز العنصرى والاضطهاد الواقع على الملونين ... هذا الاضطهاد ما زال يفرض على حياة ملايين عديدة فى الدنيا الجديدة والدنيا القديمة !

واســـتنكر مؤتمرك المحالفات العســـكرية الاجنبية وطالب باحترام الثقافات الوطنية وحمايتها وقرر مبادىء التبادل التجارى والثقافى المتكافىء المزايا ...

وقرر مؤتمرك أن المستقبل للشعوب وللاخاء الانسانى ...

وانها اذن لجريمة لن تسمح بها الشعوب أن تظل هذه القرارات مجرد كلمات . . .

انها لجريمة أن تذوب هذه القرارات او تنسى . . . كما يريد أعداء المؤتمر . . .

ان قوى السلام لن تعتزل معركة الحياة ليتصرف تجار الموت فى الحياة . . .

وقوى الشعوب اليوم يا باندونج تمضى معها كثير من الحكومات .

ان انصار الشعوب يرون فى هذه القرارات انتصارا للقضايا التى كافحوا ويكافحون من اجلها على الدوام .

* * *

فلتعد المؤتمرات الشعبية الواسعة فى كل مكان لتأييد هذه القرارات ، ولحمايتها ، ولتحويلها الى واقع حى . . .

لقد قرر الرجال الرسميون ، ونحن نكبر المخلصين منهم والشرفاء .

من الممكن يا باندونج أن تظل هذه القرارات مجرد كلمات على ورق كما يريد اعدائك .. ولكن الشعوب وحدها .. ولكن القوى الوطنية وقوى السلام – من رسمية وشعبية – هى التى تستطيع أن تعطيها اللحم والدم والحركة . . .

ان القلاع التى تحمى قراراتك يا باندونج هى الشعوب نفسها . . .
فليكتب كل المثقفين فى كل يوم دفاعا عن هذه القرارات
وليتحرك كل الاحياء لتنفيذ هذه القرارات ..
ولتفتح كل العيون لافساد المؤامرة على هذه القرارات ..
ولتكن شعوب آسيا وأفريقيا فى تماسكها ووحدة كفاحها وحرصها على كل مناضليها هى الحصن الفولاذى الذى لا ينفذ اليه الصياد أو كلاب الصيد !.
لتنطلق حمامات السلام فى الجو بالامل .. ولتترك حاملات القنابل لها أجواء السماء !.

فلتمخر السفن فى البحر تنقل التجارة بين كل أقطار الارض . . .
وليغب فى النسيان هذا القرصان الذى يطوف البحار يأخذ كل سفينة غصبا .

لتعبر الثقافات حدودها ولتفتح الحدود لكل الثقافات . . .
ليتبادل الناس الزيارات والمعرفة من كل وطن مهما تكن نظمه السياسية والاجتماعية . . .

* * *

اننا فى مصر نعاهدك على هذا يا باندونج ... نعاهدك على صيانة قراراتك ... لقد عرفت موقف الرسميين وهو موقف الشعب كله !

واننا نعاهدك باسم الآباء الذين يريدون حياة ناعمة لاطفالهم وباسم الابناء الذين لا يحبون أن يروا أشلاء الآباء ... باسم الامهات اللواتى يحلمن بمستقبل زاهر للابناء ..

نعاهدك باسم حبنا لكل الشعوب بلا استثناء .. وباسم الاحزان المشتركة والفجائع المشتركة والآمال المشتركة ..

نعاهدك يا باندونج باسم الثقافة التى تشرق فى النفوس والعقول ..
باسم الصدق الذى يملأ المشاعر بالجلال ..
نعاهدك يا باندونج باسم أجيال من الشهداء ...
نعاهدك باسم الجمال والخير والعدل ..
نعاهدك باسم الحرية التى نمارس من خلالها كل مافى انسانيتنا من شرف وطاقة .

وباسم الحضارة والحياة ...

نعاهدك يا باندونج على ان نظل حماة صادقين للسلام ... حراسا يقظين لقرارات مؤتمرك المجيد .. ونعاهدك على أن تظل أيدينا ممدودة بالصداقة والاخاء الى كل شعوب العالم على السواء .

***

وتمضى بنا الايام والليالى .
ويظل مؤتمرك يا باندونج مبعث أمل وعزاء ومشرق فجر من السلام .
وسلام عليك يا باندونج !.
سلام عليك أيتها المدينة الرائعة التى عرفناها نحن نابضة بارادةالذين يدافعون عن الحياة فى أمل وحب ، ويصنعون المستقبل فى ثقة وبلا ضغينة ويحمون السلام فى اصرار ..

***



الفصل الرابع

نشرت هذه الرسالة فى أول مايو .. كنداء للشعب المصرى أن يشترك فى المعركة ، وطالبت الرسالة بأن تشكل اللجان الوطنية لحماية قرارات باندونج . لجان باسم التبادل الثقافى من الفنانين والكتاب .. لجان حماية التبـــادل التجـــارى بشتى أنواعه من التجـــار وزارعى القطـــن .. .. لجان من أصحاب الحرف ومن كل المواطنين الذين يجب أن يشاركوا فى تنفيذ قرارات باندونج وأن يشاركوا فى حمايتها من المؤامرات والعدوان الاجنبى .. لجان تمكن المواطنين من أن يجعلوا من قرارات باندونج حركة حية فى التطور الاقتصادى والثقافى وفى تطورنا الاستقلالى ..

ولكن هذه الاقتراحات وهذا الموقف كله استقبل بعداء شديد من العملاء والخاضعين لنفوذ المصالح الصهيونية والاستعمارية فى مصر .. أما الذين اختاروا أن يختفوا تحت راية حمـــراء ــ حمراء كنجمة اسرائيل ــ فقد نشطوا فى اذاعة التحليلات ضد هذا الموقف .. واستعاروا نصوصا ليهاجموا بها اى تحرك من أجل تطورنا الاســـتقلالى ومن أجل حماية قرارات باندونج .. وانطلق أصحاب التحليلات يلتقطون منالذين طحنتهم مأساتهم الفردية بعض رجالونساءيحركهم الحقد لا الحبوترسم خطوات حياتهم العقد والكريهة الصفراء .. وكما يشير الصياد الى كلبه ، فقداعطى اصحاب التحليلات اشارة الى كلابهم الأمينة .. وهكذا انطلقت غمغمة الشتائم ، وانحنى اصحاب النفوس الخربة على خرائب باندونج .. وكثير من الشرفاء يؤثرون العافيـــة ولايحبون أن تنهشهم الـكلاب المسعورة أو تلوثهم قذائف الحجارة الملوثة .. وهكذا يخضعو للارهاب الذى يشنه عليهم فريق من المرضى .

هذه هى الطريقة التى اختارها الذين يختفون تحت راية حمراء من عملاء الاستعمار والصهيونية .. اما الآخرون فقد اختاروا اسلوبا آخر من الارهاب ومن كتابة البلاغات الى دوائر الامن الامريكية ضد الشرفاء



« باندونج » من معرض الفنان (عبد الهادى الجزار) »
« بمتحف الفن الحديث بالاسكندرية »

الوطنيين الذين تحركوا تحت راية باندونج .. وكان الاسلوب الآخر فى كتابة البلاغات والارهاب يتناسب مع وسائل الآخرين : كل بوسائله !

وكما ان النوع الاول قد اتهم المناضلين تحت راية باندونج بالشيوعية ـ ووجهوا الاتهامات اليهم على هذا الاساس ، فقد كتب النوع الثانى وهو يملك نشرات علنية ـ هجوما سافرا ومارس ارهابا سافرا

وردا على النوع الاخير صدر هذا المقال :

سلام بلا ألوان

ليس الخوف وحده ، هو الذى يدفع شعوب العالم الى المطالبة بتحريم وانتاج الاسلحة الذرية والهيدروجينية .. ليس الخوف وحده هو الذى يحرك الشعوب للمطالبة باتلاف وابادة الاسلحة ذات التدمير الشامل . وانما هناك عديد من المعانى تدفع الشعوب ، الى المطالبة باستعمال الطاقة الذرية للاغراض السلمية .

ولئن كانت ذكريات هيروشيما مازالت تعذب كل قلب .. ولئن كانت

التجارب الحديثة ترسم صورا مروعة من الجحيم الذى سيلتهم الحياة والحضارة والتراث والثقافة ، ويغمر الارض كلهـا بطوفان من اللهب والموت .. لئن كان هذا كله هو الذى يثير الشعور ويحرك المقاومة ويلهبها ضد الاسلحة الذرية والهيدروجينية فهناك مع ذلك اشياء اخرى أعمق من الخوف ، هى التى تدفع كل انسان منتج الى المطالبة بتسخير الطاقة الذرية ، للانتاج السلمى .

والانسانية اليوم ، تدرك مدى التقدم والرفاهية ، والراحة ، والسعادة وكل الطيبات التى يوفرها استخدام الطاقة الذرية فى الصناعة والزراعة ووسائل النقل وفى الحياة اليومية .

وفى غير مكان من الارض ، حقق هذا الاستخدام السلمى — رغم ضيق نطاقه — نتائج كالمعجزات .. وبدانا نسمع بفخار وأمل عن انتصار العقل الانسانى على الطبيعة ، وقوى الخفاء والامراض المستعصية ، وبدأ العقل الانسانى يقتحم كل مجال ويناقش الموت نفسه .

وهذه النتائج الرائعة ، ما زالت تهز احلام الذين يرهقهم التوتر الدولى ، وتمزقهم رتابة الحياة المليئة بضجيج التهديدات بالحرب ..

ان هذه النتائج تمثل لهم فرصة للخلاص من الجنون ، وانهم جميعا ليحلمون من خلال توترهم .. بأن تصبح الطاقة الذرية فى بلادهم وسيلة لحياة أقل عناء ، واوفر حصادا .. أن تصبح فى أيديهم قوة يواجهون بها الالم والقلق والمرض والعجز .

انهم ليعرفون أن هذا كله ممكن ، وواجب أيضا .. وهم من أجل ذلك يتحركون — فى بسالة وشرف — ليصنعوا الممكن .. وليؤدوا الواجب !

***

والشعوب الآسيوية والافريقية التى اعلنت فى باندونج ارادتها بتحريم استخدام وتجربة الاسلحة الواسعة التدمير وطالبت باستعمال الطاقة الذرية فى الاغراض السلمية ، هذه الشعوب لم تكن تعبر عن خوفها فحسب .. كانت تعبر عن اشياء عديدة أخرى أعمق من الخوف .. كانت تعبر أيضا عن الامل .

كل هذه الدعوات المخلصة الحارة الصلبة ، لم تكن تخدم مذهبا سياسيا ، أو اجتماعيا معينا ، وانما كانت تخدم شيئا واحدا وستظل تخدم شيئا واحدا هو مستقبل الانسان .

فلتكف اذن عن تشويه دعوة السلام كل تلك العناصر التى طالب أحد ممثليها فى باندونج بضرورة استعمال القنابل الذرية باسم حماية الحضارة! انه على الرغم من كل وضوح ، فما زال بعض الذين يريدون استخدام

القنابل الذرية يجدون طريقا لتحطيم المقاومة .. انهم يملكون الأجهـزة الواسعة والدعاية الضخمة ، والمال والعملاء .. وهم يملكون الخديعـة ايضا .. وقد يستطيعون لبعض الوقت أن يخيفـوا بعض الناس من الاشتراك فى مقاومة الحرب .. ذلك بأن يذيعوا ويؤكدوا أن المطالبـة بتحريم القنابل الذرية والهيدروجينية انما هو سلام أحمر .. أو يخدم مذهبا معينا .. وفى بعض مناطق النفوذ ، تعتبر الدعوة الى السـلام جريمة ، ويعتبر التوقيع على النداء بتحريم الاسلحة الذرية والهيدروجينية محاولة لقلب نظام الحكم .

ان هذا كله مع ذلك لم يحطم مقاومة الانسان ..

ان الذين يطالبون باستعمال القنبلة الهيدروجينية هم افراد معينون بالذات فى بعض الدوائر الحاكمة ، وهؤلاء رغم كل ما يملكون من وسـائل لايستطيعون أن يهدروا سكان الارض .

لقد حققت هذه الارادة التى لاتقـاوم ، مؤتمر جنيف ، وباندونج ومعاهدة النمسا ، وستحقق اجتماع الاربعة الكبار .

ان السلام الاحمر خديعة جديدة صنعتها دعاية الاسلحة الذرية ، ويروجها بعض السذج الذين يحسبون أن هذه هى الطريقة الوحيدة لتأمين مستقبلهم مع الدوائر التى تريد استعمال القنابل الواسعة التدمير !

ان البسـطاء العديدين والشرفاء وكل الذين يريدون أن تستمر الحياة .. وأن تصبح خيرا مما هى لايحفلون بهذه الخديعة ، لايعرفون ما هو هذا السلام الاحمر ، ولا يفهمون كيف يمكن أن يخدم السلام شيئا آخرا غير حياتهم هم أنفسهم .

انهم يريدون ان يندفعوا فى كل صور المقاومة .. ليقاوموا كل أشكال التحضير لحرب ذرية .. التكتلات العسكرية .. انتاج الاسلحة والقنابل .. التوتر الدولى .. تمزيق العالم الى كتلتين !

* * *

وشعوبنا الآسيوية والافريقيـة ، التى ما زالت تعانى من التخـلف الاقتصادى والاجتماعى تدرك أن استخدام الطـاقة الذرية فى الاغراض السلمية لايعنى حماية الحياة والحضارة فحسب ، وانما يقدم لها ايضا ، كل وسائل النهضة الاجتماعية والاقتصادية .

* * *

ان شعوبنا الآسيوية والافريقية ، التى طالبت بوجوب التعايش السلمى فى باندونج ، تدرك أن حالة التحضير للحرب ، تعنى بالقياس اليها : استمرار التخلف الاقتصادى ، واستمرار الضغط الاجنبى السياسى وهى تدرك ايضا أن تطورها الثقافى والاجتماعى ، مرتبط بارتفاع مستوى المعيشة فيها

ان الانسان لايقرأ وهو جائع ، ولايتمتع بالموسيقى والغناء وهو يبحث عن ثمن العافية .. ولا يستطيع أن يحب ويضحك وينطلق ويمارس فضائله وهو محتاج .. ان كثيرا من نسائنا يسقطن ، وهن يبحثن عن حياة اقل شقاء .. وكثيرا من الرجال ! ..

ان شعوبنا الافريقية والآسيوية التى تعانى من الفقر .. تعانى أيضا من حاجتها الى كل مايضيء النفس .. الى الثقافة والفن ، والعافية ..

والذين يمارسون كل الاشياء الجميلة ـ الضرورية ـ فى حياة الانسان هم مع الاسف اقلية ضئيلة بين الشعوب الاسيوية والافريقية .

وما زالت الغالبية العظمى ، تعانى من الامية ، والمرض ، ومن سلطان الخرافة على العقول ، ومن الجهد التعس ، الذى يجب ان يبذله الانسان ليأكل الطعام .. ومع ذلك فبلادنا الآسيوية والافريقية ، هى اغنى البلاد واجمل البلاد ..

ان استخدام الطاقة الذرية وتسخيرها بأمرنا هو وحده الذى يستطيع بأيسر مجهود ، أن يخرج الكنوز الخبيئة ، من المعادن .. ان يجعل من الصحارى الشاسعة ، جنات يانعة ، عامرة بالمحاصيل ـ أن يملأ البرارى بالمصانع .. أن يملأ كل مكان بالمنتجات .

وعندما يتحقق التطور الصناعى المنشود ، ويقوم الاقتصاد فى المدينة والقرية على الآلة ، وتتزايد الدخول ، ويرتفع مستوى المعيشة .. عندها يتحقق التطور الاجتماعى والثقافى والفنى الذى نرجوه .. ويصبح انسان آسيا وافريقيا ، قوة خالقة حقا يبنى مع زميله الانسان فى كل مكان من الأرض أجمل مستقبل .

ان شعوبنا الافريقية والآسيوية لاتعرف لونا للسلام ، وانما تعرف السلام فحسب .. وتعرف أن سلامها هو سلام للعالم ، ولقد رحبت دائما بكل دعوة الى التعايش السلمى ، والى حل المشاكل الدولية عن طريق المفاوضات ، وايدت كل نداء باستخدام الطاقة الذرية فى الاغراض السلمية، ورات فيه تعبيرا عن املها .

والذين يريدون أن يعزلوا شعوبنا عن معركة حماية السلام بدعاوى السلام الاحمر ، لن يوقفوا انطلاق شعوبنا ، ولن يستطيعوا أن يشوهوا تأييدها لكل هيئة تقاوم الخراب والدمار ، وتعمل على حماية الحياة ، والحضارة ، والثقافة ..

***

ان السلام .. عالمى .

واذا انفجرت القنابل الذرية والهيدروجينية . فلن تسلم بقعة من الارض ، سواء اكانت هذه البقعة حمراء أم صفراء .

اليس من واجب كل شعب أن يتحرك لحماية نفسه من الخطر الذرى، اليس من واجبه ان يتحرك فى نفس الوقت لحماية الشعوب الاخرى من الخطر ؟ ! ان ضمان الدفاع ضد الخطر الذرى يقتضى من كل شعب أن يمنع الانفجار فى أى مكان .

ان السلام عالمى وليس اقليميا ذلك أن الاشعاع الذرى لايمكن حصره فى نطاق التكتلات الاقليمية ! ..

والشعوب الاسيوية والافريقية تدرك هذه الحقيقة ، ومصر أيضا تدركها .

ومن اجل هذا طالب مؤتمر باندونج بضرورة التعايش السلمى ،بضرورة الحياة جنبا الى جنب فى سلام والا فلا حياة .

ان كل كائن حى يستطيع أن يصنع شيئا للدفاع عن حياته ، ان كل انسان يملك ان يتحرك خطوة فى سبيل المستقبل ، فى سبيل منع الاسلحة الذرية والهيدروجينية . واستخدام الطاقة الذرية للانتاج السلمى .

ان الحرص على التقاء ممثلى الهيئات والمذاهب المختلفة ، وتبادل الآراء ، والافكار ، ووجهات النظر المتباينة ، يمكن أن يقدم الكثير لحماية سلام العالم .

ان اجتماع شواين لاى بايزنهاور وبولجانين وايدن .. والرجل الذى سيكون رئيسا لفرنسا يوم عقد الاجتماع .. ان اجتماع الخمسة الكبار لن يكون خدمة لمذهب معين ..

ولن يتفقوا الا على العقل ، وافضل الحلول ..

ان التمسك بمثل هذا الاجتماع وباجتماع كل الرؤساء والشرفاء وممثلى الشعوب ، ليس واجب دعاة السلام فحسب بل هو واجب كل انسان شريف فى العالم ، وواجب كل انسان يريد ان يعيش حياة افضل .. كل انسان يرفض ان تقام المذابح للاطفال !

* * *

ان شعوبنا ترحب وتنادى بأن يلتقى المسئولون أو القادة الشعبيون وممثلو الهيئات والمذاهب المختلفة ، ويتفقوا على حل لانقاذ العالم ، واراحة أعصابه .

ليلتقوا فى سان فرانسسكو أو استكهلم أو فى جنيف أو باندونج أو فينا أو موسكو او لندن .. أو هلسنكى ! .. المهم هو أن يلتقوا ، وأن وأن يبحثوا عن حل .

ان انفجارات التجارب الذرية هى وحدها التى يمكن أن تخفى نغم الكلمة الطيبة ..

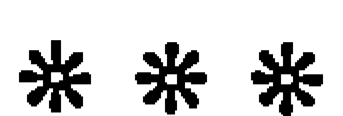
ان التسابق فى التسلح يستهلك الاموال التى ينبغى أن تنفق لتحسين مستوى الحياة ..

فلتخرس هذه الانفجارات ، لترتفع بدلا منها الكلمات الامينة صادقة معبرة عن ارادة كل الناس فى الدفاع عن الاطفال والمستقبل ، والحضارة ، وحياة بلا متاعب ..

ان سلام العالم وحدة لاتتجزأ ..

السلام .. عالمى ، بلا الوان ..

والسلام العالمى هو طريق الشعوب الآسيوية الافريقية الى الحرية والرخاء ، هو الطريق الى حياة أفضل .





الفصل الخامس

... وبعـــد

كانت القرارات التى اصـــدرها مؤتمر باندونج صدمة للذين تنبـأوا بفشل المؤتمر ... ولم يعد من الميسور أن يستمر الذين هاجموا باندونج فى اتجاههم .. فان العروض الجدية الصادقة لاتقاوم بالاعراض الـــكامل حتى لمجرد حفظ الشكل !

من اجل ذلك صدرت الصحف التى تعبر عن راى الدوائر الغربيـــة المعادية تحمل موجز القرارات وتتحدث عن نجاح المؤتمر وتنوه بعروض شواين لاى .

وفى الحق أن نجاح مؤتمر باندونج كان خطوة تاريخية جبارة دلت على وعى شعوب القارتين بالمسئوليات أمام الانسانية ..

لم يستطع أن يطعن فى القرارات .. حتى أشد الاعداء ضراوة وهمجية .. الا الصهيونيين ! ..

طعنت اسرائيل فى القرارات .. وتزايدت حملاتها على جمال عبـــد الناصر لأنه هو الذى اقترح ــ ووافقته الدول العربية ــ ابعاد اسرائيل ــ

واستمرت الحملات البربرية على الحدود وسالت دماء جديدة من مصر وسوريا والاردن ..

وارتفع صوت راديو اسرائيل يكيل الهجوم والاتهامات لمصر وباندونج .

وحين يقول راديو اسرائيل شيئا ، تردده فى مصر ــ وفى مصر وحدهاــ بعض الابواق ! ؟

وهكذا لم تكد تعلن قرارات باندونج وترسل مصر أول وفـــد لزيارة الصين الشعبية حتى هوجمت الحدود المصرية ونشطت اذاعة اسرائيـــل

فى تنديدها بمصر ، وتوالى صدور نشرات سرية فى مصر تستعير من الاسماء كل مايثير الجلال فى النفس ، وتلوث بلا رحمـة كل الرايات التى تختفى تحتها راية بعد راية . . !

ومضت هذه النشرات تطعن فى حكومة مصر وسوريا وتمجد ميوعة موقف حكومة لبنان ــ اذ ذاك ــ وتهاجم الميثاق المصرى السورى السعودى . . وتطعن فى حركة السلام . .

وانبعث من وجدانها الهزيل المعقد كجسد العقرب شعر وتحليـل وفحيح ضد الذين أيدوا باندونج .

* * *

أما القوى الشريفة فى مصر والبلاد العربية فقـد استقبلت قرارات باندونج فى أمل وحماس . . ذلك أن باندونج هى بالقياس الينا والى كل الشعوب الاسيوية وثبة تاريخية ومفرق طريق . .

فلأول مرة تنسق مصر كفاحا مشتركا مباشرا مع شعوب يزيدتعدادها عن نصف سكان العالم للدفاع عن السيادة الوطنية ، ولمنع التدخل الاجنبى فى الشئون الداخلية وللنهوض الاقتصادى والثقافى ، ولتأمين وسـائل التعايش السلمى . . لأول مرة تضع مصر يدها بشكل رسمى فى يد أغلبيـة سكان العالم لمقاومة الاستفزاز والضغط . . لمقاومة فئة قليلة من الاجانب تحتكر موارد الثروة فى آسيا وافريقيا وتحاول أن تقيم فى أرضها القواعـد العسكرية وان تسوق أهلها الى المذبحـة فى موكب مشـئوم تقرع طبوله الانفجارات الذرية . . لأول مرة تتحـد سياسـة مصر رسميا فى طريق الاستقلال الكامل مع غيرها من السياسات الخارجية وفى طريق تدعيم سلام عالمى . . سلام للجميع . . سلام بلا الوان .

ان باندونج بالقياس الى مصر هو بلورة سياسةخارجية محايدةمستقلة . . هذه السياسة الخارجية تؤدى بالضرورة الى سياسة داخلية تلائمها . سياسة تستلهم حماية الاستقلال . . وارساء قواعد السيادة الوطنيـة والاندفاع فى طريق الازدهار الاقتصادى والثقافى . . والى هذا أشـارت مقدمة الدستور الجديد . . وهنا نقطـة الانطلاق فى كفـالة حرية الفرد وحقوق الانسان واحترام الكرامة البشرية لكل مواطن .

وعلى الذين يريدون ان يشاركوا فى بناء وطننا . . وعلى الذين يزعمون لانفسهم أن مستقبل هذا البلد يعنيهم . . عليهم جميعا ــ وأنا أعنى الشرفاء بالطبع لا العملاء ــ عليهم جميعا أن يفهموا قرارات باندونج ، وأن يؤمنوا بها عن يقين لا عن تورط . . عليهم جميعا ــ حتى هواة السياسة منهم ــ أن يبدأوا بناء وطن حر تتألق فيه حرية الفكر ، مدركين ما لباندونج فى حياة شعوبنا من اثر ! .

ان باندونج بالقياس لنا مرحلة من مراحل التطور الاستقلالى والازدهار الاقتصادى والثقافى .. وهذه هى الظروف الموضوعية التى يمكن ان تتوفر فيها حرية العمل وحرية الفكر وحرية التعبير ..

من أجل هذا اندفعنا نحن الذين نحب الوطن والحياة والثقافة والسلام .. اندفعنا نحن الذين نريد ان نمارس الاشياء الطيبة فى علاقاتنا.. اندفعنا تحت راية باندونج على أرض من الاشواك والصخور تستخفى الافاعى والزواحف فى منحنياتها .. بعضها سحقته الاقدام الراسخة .. وبعضها مازال يقطع الطريق على كثير من الشرفاء .. وبعضها بقى فى أجسادنا من سمومها جراح وجراح ..

وكان عزؤنا دائما اننا نسير الى هدف واضح مع جبهة من معظم سكان العالم لا من آسيا وافريقيا فحسب بل من شعوب أوربا وأمريكا أيضا ..
ففى البرلمان السورى وقف نواب من أقصى اليمين ومن أقصى اليسار يحيون المعجزة التى تمت فى باندونج .. خالد بكداش كتفا الى كتف المليونير السورى الذى يدافع عن صناعة وطنه .

وفى اوربا نشرت مجلة السلام العالمى التى تعكس ارادة اكثر من ٦٠٠ مليون من الامهات والآباء والشباب فى سن التجنيد .. نشرت مقالا طويلا فى عدد مايو سنة ١٩٥٥ تحدثت فيه عن الانتصارات السلمية التى حققها مؤتمر باندونج وحيث الرؤساء الذين شاركوا فى حماية المؤتمر من تخريب بعض العملاء فقالت فى ختام مقالها « ان مؤتمر باندونج يمثل خطوة بالغة الاهمية فى تاريخ العالم » .

* * *

وفى مايو سنة ١٩٥٥ أصدرت مجلة الديمقراطية الجديدة عددا خاصا عن المؤتمر الآسيوى الافريقى .. وهى مجلة يجب أن يحترمها الذين يزيفون الحقائق على شعوبنا ويستترون تحت راية حمراء .. هؤلاء الذين شوهوا باندونج ووجهوا كل قذارتهم للذين أيدوها ، وبدأوا أخيرا يؤيدون باندونج ويحاولون تبنى قراراته استعدادا لدور مشئوم آخر من التزييف والخديعة ..

والديمقراطية الجديدة مجلة سياسية يراس تحريرها جاك ديكلو ومن أعضاء هيئة التحرير : تولياتى « ايطاليا » وليم فوستر « أمريكا » هارى بوليت وبالم دات « انجلترا » ونائب رئيس مجلس وزراء رومانيا ونائب رئيس مجلس وزراء هنغاريا ..

أصدرت هذه المجلة عددا خاصا عن المؤتمر حيث فيه انعقاده وقراراته وملأته بالتقدير للرؤساء الذين قاوموا كل محاولات افشاله وقدموا اقتراحات ايجابية ساعدت على الوصول الى القرارات . وفى آخر العدد

مقال طويل كتبه جاك ديكلو عنوانه ((**عمل مجيد من اجل السـلام**)) ناقش فيه محاولة تشويه المؤتمر وكانه يرد على الاكاذيب والحقارات التى تروجها القوى الاستعمارية وينشرها العملاء بكل لسان .. بكل لغة .. بكل أسلوب ..

.. قال ديكلو ((الاستعماريون يقومون بمناورات عديدة وبأعمال عنيفة للاحتفاظ بقواعد الاستثمار الاستعمارى وقواعد التحضير للحرب .. غير أن مؤتمر باندونج قد حدد بالفعل مرحلة هامة للاكاذيب الحمقاء التى تروجها القوى الاستعمارية ــ ان هذا المؤتمر يعتبر بالنسبة لنا حافزا مثيرا يلهب كفاحنا من اجل الاستقلال الوطنى ومن أجل السلام ولمتابعة العمل لمنـع تنفيذ اتفاقيات باريس ولتأييد سياسة التفاوض وجمع التوقيعات على نداء مجلس السلام العالمى بتدمير المخزون من الاسلحة الذرية ومنع صناعتها)) .

* * *

هذا هو مايوحى به مؤتمر باندونج لرجل مثل ديكلو .. أما مايوحى به للذين يزيفون راية ديكلو فى مصر ، فهو تمزيق نداء مجلس السلام العالمى ومهاجمة المناضلين فى سبيل السلام ! !

ولعل اعمق صدى لمؤتمر باندونج كان فى اجتماع الجمعية العـامة لهلسنكى فى يونيو سنة ١٩٥٥ .. فقد استلهم هذا الاجتماع فى كل قراراته روح باندونج وجنيف .. واعتبر مجلس السلام العالمى قرارات باندونج انتصارا للمبادىء الذى ينادى بتحقيقها .. وفى كثير من اللجان الفرعية للجمعية العامة لهلسنكى صدرت توصيات بتشكيل اللجان الوطنية لحماية وتنفيذ قرارات باندونج كل فيما يخصه .

ولعل اروع تحية لباندونج هى تلكالتى وجهها ايليا اهرنبرج،وكوموجو فى اجتماع الجمعية العامة لقوى السلام بهلسنكى فى يونيه سنة ١٩٥٥ .

قال اهرنبرج الكاتب السوفيتى الكبير : ((لاريب أن المبادىء التى قررت فى باندونج هى وثبة فى عصرنا ، وكلنا نعرف الجهود التى بذلت هناك من اجل السلام .. وانى لأسأل مندوبو الدول الاوربية التى تشترك فى جمعيتنا هذه .. انكون نحن الاوربيين عاجزين حقا عن الوصول الى اتفاق فيما بيننا كهذا الاتفاق الذى وصلت اليه دول آسيا وافريقيـا !

ما هو بالتحديد هذا الشىء الذى يمنعنا من الاتفاق ؟ اهو اختلاف الآراء أم تباين وجهات النظر ؟ ومع ذلك فقد وصل مندوبو الصين الى اتفاق مع مندوبين من الباكستان والفلبين ، واتفق مندوبو الفيتنام مع مندوبى لاوس .. أيمكن أن يكون المانع اذن هو أننا نحب اوربا أقل مما يحبون هم آسيا وافريقيا ؟ ! لا انا لا أومن بهذا !)) .

وقال كوموجو نائب رئيس مجلس السلام العالمى ورئيس جماعـة

الكتاب الصينيين « تساءل وزير الخارجية السوفيتية لماذا لاتصبح مبادىء نهرو شواين لاى الخمسة أسسا عامة للتعاون بين جميع الدول . . ان مؤتمر باندونج هو الرد الايجابى على هذا السؤال وقد صرح بولجانين فى ٢١ يونيو أن الحكومة السوفيتية تؤيد المبادىء العشرة التى قررها مؤتمر باندونج وتؤمن أنها هى قواعد التعايش السلمى وتدعيم قضية السلام . ونحن نثق أن قرارات مؤتمر باندونج التى عكست أمانى الشعوب الاسيوية والافريقية واحتياجاتها انما تعكس ايضا أمانى واحتياجات كل الشعوب المحبة للسلام فى جميع انحاء الدنيا . اننا نؤمن أن كل شعوب العالم ستتبنى قرارات باندونج » .

* * *

ومن يوم أن عقد مؤتمر باندونج من عام كامل . . عام كامل برزت فيه مصر واندونيسيا والهند وبورما أمام العالم كلهمتحررةمن النفوذ الاستعمارى ابية ، ترفض كل اشكال التدخل الاجنبى وتمسك موازين السلام . .

خلال عام كامل تقدمت العلاقات الدولية خطوات كثيرة فى طريق التعاون ، وخفت حدة التوتر الدولى .

خلال عام كامل حقق التبادل التجارى والثقافى نتائج لم يحققها من قبل طوال سنوات ما قبل الحرب .

والبلاد الآسيوية والافريقية التى تحتاج الى المعونة الفنية والمالية من الدول المتقدمة صناعيا ، ظلت تعانى فى كل محاولات النهوض الاقتصادى من التعقيدات والشروط المجحفة التى تجعل من المساعدات المالية والفنية اغلالا تثقل النهضة السياسية وتكبل الاستقلال الاقتصادى والثقافى . .

غير أن مؤتمر باندونج قلب مقاييس الامور ووضع دساتير جديدة لبلادنا . .

ولئن كنا نرى المساعدات الفنية والمالية تتوالى على الدول الاسيوية والافريقية بلا قيد أو شرط فالفضل فى ذلك يرجع الى باندونج . . أن روح باندونج هى التى شجعت كثيرا من الحكومات على رفض المساعدات المشروطة ، وشجعت كثيرا من الحكومات على قبول المساعدات الحرة بصرف النظر عن نظام الحكم فى الدولة التى تعرض المساعدة .

ولئن كانت مصر قد بدأت تتلقى لاول مرة عروضا غير مشروطة من الغرب ، فانما يرجع ذلك الى تطورها الاستقلالى والى استلهامها روح باندونج وتمسكها بقرارات المؤتمر ، كما يرجع الى المساعدات والعروض غير المشروطة التى تقدمها بشكل ايجابى دول وشعوب صديقة كالاتحاد السوفيتى والصين ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا والهند وهنغاريا . . كما يرجع الى السياسة الخارجية المستقلة التى تنهجها مصر ، مؤيدة بكل

قوى السلام فى العالم وبارادة مئات الملايين الذين صنعوا باندونج !

* * *

ولعل من آثار باندونج فى تجارتنا الخارجية هذا التزايد الملحوظ فى الصادر من قطننا الى البلاد الاسيوية والى البلاد التى كان التدخل الاجنبى يحاول أن يعزلنا عنها .. ففى سنة ١٩٥٦ بلغ مجموع الصادر من قطننا الى هذه البلاد أكثر من ٤٥ ٪ بينما لم تستورد الولايات المتحدة ودول غرب أوربا أكثر من ٢٥ ٪ .

وميزان التجارة المصرية مدين لدول اوربا والولايات المتحدة بنحو ٥٠ مليونا من الجنيهات نتيجة سياسة التضييق فى استيراد البضائع والمنتجات المصرية ، بينما اتسعت الفرصة بالنسبة للبلاد المشتركة فى باندونج والدول الصديقة الاخرى فاصبحت مصر دائنة بنحو ٢٥ مليونا من الجنيهات

ولعل من أهم آثار باندونج فى حياتنا التجارية هى هذه الصفقات التى تعقدها مصر تأكيدا لتطورها الاستقلالى مثل صفقة الاسلحة وصفقات القمح والقطن والحديد ، والاتفاقات التجارية الطويلة المدى مع الصين الشعبية . صفقة القطن بعشرة ملايين من الجنيهات هذا العام وحده .

ثم هذه الاشكال المتعددة للتبادل الثقافى بيننا وبين بلاد كثيرة كان مجرد ذكر اسمها فيما مضى مبررا كافيا للاتهام .. هذه الوفود الثقافية التى تأتى من الصين والاتحاد السوفيتى ورومانيا وبولونيا ، والفرق الموسيقية المتعددة، والدعوات الموجهة الى أطبائنا وعلمائنا والصحفيين والادباء والفنانين والسياسيين .. والعروض الايجابية فى تبادل نقل الآداب .. وكل مظاهر احترام الانتاج الانسانى ، وتبادل الخبرة والفنون على أساس المزايا المتكافئة .. كل هذه الاشكال العديدة التى عرفتها مصر فيما بعد باندونج ، وعرفت من خلالها آداب أمم أخرى وفنونها ، وحرص هذه الامم على التعرف الى آدابنا وفنوننا وتراثنا .. كل هذه الاشياء الباهرة التى تغرس حب شعبنا فى أعماق الشعوب الاخرى ، وتملأ اعماقنا بخفقة من حب الآخرين .. كل أولئك انما هو بعض ثمرات باندونج .. بعض ثمرات سياسة الحياد والاستقلال والحرص على التعايش السلمى التى تنتهجها حكومتنا المصرية باسم شعبنا وباسم ارادة الشعوب التى صنعت باندونج ، واعلنت كلمة المستقبل فى وجه القوى المنهارة ..

* * *

ان مصر قد اختارت نهائيا أن تقف فى معسكر السلام واصبحت هى نفسها من أهم قوى السلام فى العالم .. اصبحت القوة السلمية الايجابية القائدة فى الشرق العربى ..

ان باندونج التى اصبحت ركيزة لكل قوى السلام فى العالم قد تحولت

فى مصر الى أكثر من ذلك .. انها توشك أن تختلط باللحم والدم من كيان سياستنا .. لا الخارجية وحدها .. بل سياستنا الداخلية أيضا .. وآية ذلك أن الدستور المصرى حين أعلن على الناس .. أعلن باسم :

نحن الشعب المصرى

الذى انتزع حقه فى الحرية والحياة ، بعد معركة متصلة ضد السيطرة المعتدية من الخارج والسيطرة المستغلة من الداخل .

نحن الشعب المصرى

الذى استلهم العظة من ماضيه ، واستمد العزم من حاضره فرسم معالم الطريق الى مستقبل :

متحرر من الخوف .

متحررة من الحاجة .

متحرر من الذل .

يبنى فيه بعمله الايجابى وبكل طاقته وامكانياته مجتمعا تسوده الرفاهية ويتم له فى ظلاله :

القضاء على الاستعمار وأعوانه .

القضاء على الاقطاع .

القضاء على الاحتكار وسيطرة راس المال على الحكم .

اقامة جيش وطنى قوى .

اقامة عدالة اجتماعية .

اقامة حياة ديموقراطية سليمة .

نحن الشعب المصرى

الذى يؤمن بأن :

لكل فرد حقا فى يومه .

ولكل فرد حقا فى غده .

ولكل فرد حقا فى عقيدته .

ولكل فرد حقا فى فكرته .

حقوقا لا سلطان عليها ابدا لغير العقل والضمير .

نحن الشعب المصرى

الذى يقدس الكرامة والعدالة والمساواة باعتبارها جذورا أصلية للحرية والسلام .

نحن الشعب المصرى

الذى يشعر بوجوده متفاعلا فى الكيان العربى الكبير ، ويقدر مسئولياته والتزاماته حيال النضال العربى المشترك لعزة الأمة العربية ومجدها .

نحن الشعب المصرى

الذى يعرف مكانه على ملتقى القارات والبحار من هذا العالم ، ويقدر تبعات رسالته التاريخية فى بناء الحضارة ، ويؤمن بالانسانية كلها ويوقن بأن الرخاء لايتجزأ ، وأن السلام لايتجزأ .

نحن الشعب المصرى

بحق هذا كله .. ومن اجل هذا كله ..

نرسى هذه القواعد والاسس دستورا ينظم جهادنا ويصونه ونعلن اليوم هذا الدستور ، ينبثق احكامه من صميم كفاحنا .. ومن خلاصة تجاربنا ، ومن المعانى المقدسة التى هتفت بها جموعنا ، ومن القيم الخالدة التى سقط دفاعا عنها شهداؤنا ، ومن احلام المعارك التى خاضها آباؤنا واجدادنا جيلا بعد جيل ..

***

ومن أوضح الدلائل على ان قرارات باندونج أصبحت حقيقة حية وقوة فعالة فى سياسة الدول الداخلية والخارجية على حد سواء .. ما جاء فى خطب رؤساء الدول بمناسبة مرور عام على انعقاد هذا المؤتمر التاريخى .

جاء فى الكلمة التى اذاعها الرئيس جمال عبد الناصر :

« وان مصر لفخورة بالدور الذى قامت به فى باندونج ، فخورة بدورها فى التمهيد للمؤتمر واعداد جدول أعماله .. فخورة بدورها بعد انتهاء المؤتمر .. فقد التزمت روحه وسارت على طريقه .. ولم تدع فرصة الا اظهرت فيها ايمانها العميق بمبادىء باندونج وقراراته وجاهدت لكى تصبح هذه القيم كلها أساسا للسلام وللحرية ..

وانه لمما يبعث على الرضا والامل ان اسم باندونج تردد علما على هذه القيم فى كل ما عقد بعد مؤتمرها من اجتماعات بين اقطاب وساسة وما اصدروه الى أممهم وشعوبهم من بيانات ونداءات .

كذلك وضحت اهمية باندونج فى مجال الأمم المتحدة ، واصبحت دولها تمثل قوة عاملة على ترجيح كفة السلام ..

كما كانت باندونج أخيرا مصدر الوحى فى عدد كبير من المعاهدات التجارية والثقافية .. تربط ما كاد ان ينقطع من صلات مادية وروحية ، وتقرب ما بين الشعوب بتبادل النفع واشعاع المعرفة » ..

وجاء فى ختام كلمته :

لقاء جديد :

« واخيرا فها نحن اليوم نتحدث عن باندونج ونعود بأفكارنا الى ايامها .

نعود اليها ونحن نحتفل بيوم باندونج مع شعوب افريقيا وآسيا . نعود اليها ونحن نتطلع الى لقاء جديد » .

اما الرئيس الاندونيسى فقد جاء فى رسالته :

« أن الشعوب الاسيوية والافريقية تحتل اليوم مركزا اقوى . وأن مؤتمر باندونج قد زاد من مكانتها وهيبتها » .

اما فى بورما فقد اعلن السيد كياونامين عضو الحكومة والسكرتير العام للحزب الاشتراكى :

« ان مؤتمر باندونج تناول مشاكل الاستعمار والتنمية الاقتصادية وقد نوقشت هذه المواضيع بصفة عملية لا عاطفية » .

« وختم تصريحه بقوله :

« ان مؤتمر باندونج كان رمزا لبعث آسيا وافريقيا الى الوجود من جديد .. »

وجاء فى المذكرة الاخيرة لحكومة الاتحاد السوفيتى بخصوص مشاكل الشرق الأوسط :

« واذا كانت مبادىء احترام استقلال الدول وسيادتها وعدم التدخل فى شئونها الداخلية ، وحل المنازعات الدولية بالطرق السلمية .. كلها مضمنة فى ميثاق الامم المتحدة .. فان الاتحاد السوفيتى الذى يؤيد هذه المبادىء تأييدا كاملا ، يؤيد كذلك بكل اخلاص وصدق محاولات الدول العربية للمحافظة على استقلالها الذى حصلت عليه اخيرا ، وعلى رفع مستواها الاقتصادى وتوطيده ..

وان الاتحاد السوفيتى ليرى فى توطيد استقلال دول الشرق الأوسط واطراد تقدمها ضمانا هاما للسلام والامن فى هذه المنطقة ..

وفى الوقت نفسه تعلن الحكومة السوفيتية بأنها لم تحاول أن تحتفظ لنفسها بأى منفعة خاصة ، وانها تحاول أن تبنى علاقاتها مع دول هذه المنطقة على نفس الاسس التى اعلنتها الشعوب الاسيوية والافريقية فى مؤتمر باندونج » .

* * *

فالى الذين لم يدركوا حتى اليوم ان الدفاع عن السلام العالمى ضرورة تنبثق من تطورنا ، ومن ضمير العصر،ومسئولية يفرضها شرفهم الانسانى .. اليهم كتبت هذه الكلمات تعبيرا عن امل بسطاء الناس فى سلام دائم .





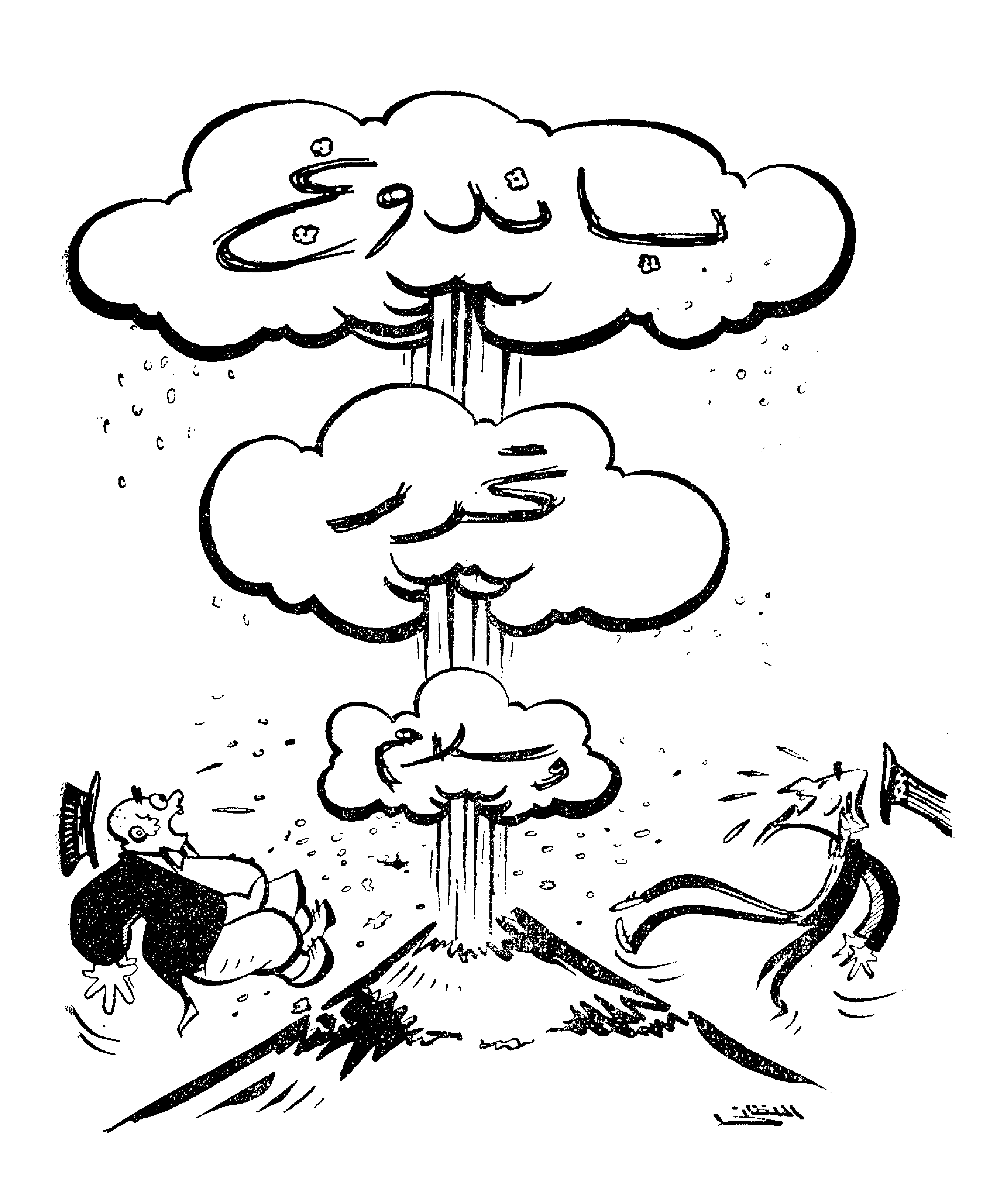
بريشـــة

* جمال السجيني
* جمال كامل
* محمد اللقاني
* طوغان
* جورج
* ابراهيم حسان
* زكي أمين
* تماضر
* زهدي
* صلاح جاهين
* ابراهيم مسعوده
* هبة عنايت
* حامد
* كنعان
* عبد المنعم القصاص
* حنا صبري
* حسن فؤاد



حق حرية
سلام بناء
١٩٥٦






بانمونج













باندونغ
الصين
مصر
الهند
إيران
سوريا
كينيا






الشعوب
المتحررة








باندونغ
١٩٥٥

أفلام النور

*

المستقبل لنا ، وهو مشرق يبدد نوره جحافل الظلام الآخذة فى الانكماش والتقهقر والانقراض ..

وهذه الازمة التى لاتتيح لباب من أبواب ستديوهاتنا السينمائية ان يفتح مصراعا واحدا من مصاريعه حتى يسارع بغلقه بعد أيام قليلة أو أسابيع ..

هذه الازمة التى شردت عددا كبيرا من السينمائيين المصريين فنيين وفنانين .. وعمال،وسدت فى وجوههم سبل الحياة الكريمة المثمرة .. تحمل فى أعماقها ـ وعلى الرغم من كل شيء ـ ما هو نقيض الازمة ..

الرخاء والســلام .

والقائمون بالامر فى شركة أفلام النور ـ شعراء وادباء وسينمائيون ـ يؤمنون بهذا الطريق الذى بانت بعض معالمه ..

هذا الطريق المتطور الصاعد الى شكل من اشكال الحياة الاجتماعية هو جديد علينا ، وان امتدت جذوره فى أعماق تفكيرنا وأحلامنا ..

هذا الطريق نحو اشتراكية عادلة فى العمل وثماره هو وحده المستقبل وهو المشرق الذى يملأ قلوبنا بأمل متفائل فى غد رغيد للسينما المصرية والعاملين فى ميدانها وجمهورها جميعا .

« افلام النور »

شركة افلام النــور

١١ ـ ميدان الفلكى

عمارة البدراوى ـ القاهرة

تليفون ـ ٣٢١٩٨



- دار الفكر: مؤسسة تجارية لا تملك رأس المال الضخم ، ولكنها تملك الايمان والاصرار على الاستمرار فى أداء رسالتها .
- دار الفكر : لم تؤسس للربح فقط فهدفها الأول الدفاع عن الثقافة ، وتدعيم الفكر المصرى الجديد ، واحياء التراث القومى ، وربط هذا جميعا بالفكر العالمى ، لتدعيم الروابط الثقافية بين الشعوب وللقضاء على الحرب وتحقيق السلام والرخاء .

صدر أخيرا الكتب التالية :

- **« مشاكل الادب والفن »**
  لزعيم الصين « ماوتسى تونج »
  الثمن ١٠ قروش
- **« حقيقة حركة السلام »**
  لانصار السلام فى العراق
  الثمن ١٠ قروش
- **« لن نخون فلسطين »** للشاعر مصطفى بهجت بدوى
  الثمن ٧ قروش
- **فنون الادب الشعبى**
  للاستاذ « أحمد رشدى صالح »
  الثمن ٢٠ قرشا
- **« أعاصير فى الأردن »** للشعراء : أسد محمد قاسم ونزهت سلامة واسماعيل عبد الرحمن
  الثمن ١٠ قروش

التوزيع - دار الفكر - عمارة سينما راديو - القاهرة
البلاد العربية - شركة فرج الله للصحافة ص . ب ١٥٢٥
القاهرة

الثمن ١٥ قرشاً

